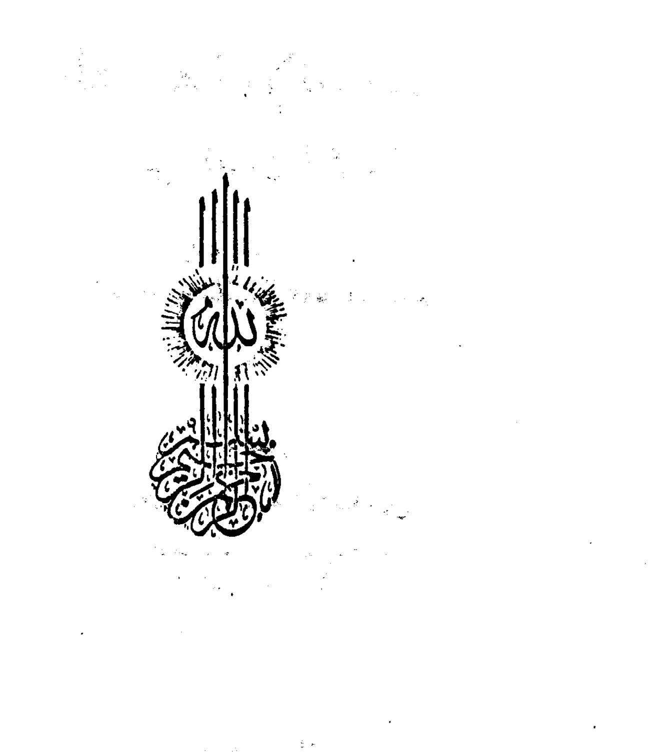
الطبيعة الإنسانية
في القرآن الكريم

دراسة تحليلية لآراء
العقاد وعائشة عبد الرحمن

دكتور
محمد وجيه الصاوي
أستاذ بقسم أصول التربية الإسلامية
كلية التربية جامعة الأزهر

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م



افتتاحية

في الآونة الأخيرة كثرت الكتابات في مجال التربية الإسلامية ، وأصحبت هوجة أو موجة ، يركبها كل من يريد ان يتربح في مجال الكتابة والنشر . وليس في ذلك عيب ولا اعتراض ، ولكن الحديث عن هذا الزخم الضخم من الكتابات ، لنا عليها ملحوظات منها : أن الكتابات في كثير منها إنشائية ، سطحية ، لا تعالج القضايا التربوية بعمق ، وبدون تحليل يفيدنا ، بطريقة مباشرة ، في حقل التربية والتعليم .

كما أن كثيراً من الكُتّاب لم يكن متخصصا في مجال التربية الإسلامية ، فإذا بنا نجد القافزون الي أول الصفوف يكتبون ، ويُنَصّبون أنفسهم حُماة ، أو متحدثون رسميون باسم التربية الإسلامية .

إن الكتابة في هذا المجال يجب أن تكون لمتخصص في ميدان التربية ، ومتمكن في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، وأن يستخدم الأساليب العلمية في البحث ، حتى تخرج الدراسات في مثل هذا المجال ، على درجة من الأصالة والعمق .

وأما وقد دخلت هذا الميدان فلا أعرف اصنف نفسي من أي فريق أكون؟ ويعلم الله أنني منذ أن كنت معيدا بكلية التربية جامعة الأزهر (١٩٧٢) ، قد عُيِّنت في "قسم التراث التربوي الإسلامي" ، ثم تغير

اسم القسم إلى "قسم أصول التربية الإسلامية" . وليس عنوان القسم أو تغييره ، مبرراً بأن أكون المتخصص الأول أو الأخير !

ولكن كتابات - أي باحث - أو مجال اهتماماته الأولى ، منذ دخوله الجامعة ، (وخاصة الدراسات العليا) ، تكون من المؤشرات التي تبرر أصالة الكاتب والباحث بهذا المجال ، بحيث لا يكون دخيلا عليه .

لقد كان موضوع رسالتي في البعثة للحصول على الدكتوراه : "**الفكر التربوي عند محمد عبده وطه حسين**" . ومن خلال الأطروحة ، اخذت تشدني ، دراسة الفكر التربوي للعلماء والمفكرين العرب والمسلمين ، فكتبت بحثا عن ""الطفولة ورعايتها في فكر العقاد" ، "الإبداع عند زكي نجيب محمود" ، "التربية وحركة الإصلاح كما تعكسها آراء أحمد بن باديس" .

وبإذن الله قريبا ينشر أول كتاب في سلسلة - أعلام الفكر في التربية - أبدأها بدراسة للفكر التربوي للعقاد ، ثم سيد قطب ، ثم أحمد أمين ، ثم محمد فريد أبو حديد ، فمحمد حسين هيكل ، ومحمد إقبال ، ومحمد عبده ، وغيرهم من القمم التي أسهمت في الثقافة والفكر الإسلامي ، محاولا استخلاص أهم الآراء التربوية ، التي قد تكون جديدة ، أو لها رؤيه خاصة ، قد تفيدنا في مجالنا التربوي ، وإن لم تفد فيه ، فقد تسهم في بلورة اتجاهات الفكر عند هؤلاء الأعلام من زاوية تربوية .

والدراسة التي بين أيديكم ، قد بدأت الكتابة فيها منذ عام ١٩٨٥، عندما دعت كلية التربية بدمياط إلى عقد مؤتمرا لتكريم روادها ومفكريها ، وكان موضوع المؤتمر (بنت الشاطئ) عائشة عبد الرحمن . فأردت أن أشارك في المؤتمر بهذا البحث ، ولكن الوقت لم يسعفني ، حيث أن الوضوع لم يكن سهلا ، كما كنت أتصور ، فأخذت فترات طويلة ، في القراءة ، والتحليل ، والمراجعة ، وإعادة النظر استغرقت وقتا طويلا .

وقد أردت أن أنشر هذه الدراسة في مجلة دراسات تربوية ، التي يشرف عليها أستاذي الدكتور سعيد إسماعيل علي ، فرحب بها مشكورا وتم تحكيمها ، وأشار إليّ بأن اختصرها ، ووافقت على ذلك . ثم فكرت مليا ، في أن هذا الجهد لا أريد له أن يخرج ناقصا . ففضلت أن أنشرها في كتاب صغير .

ولا أنكر فضل د. سعيد ، عليّ وتأثري به في أن انحو هذا الاتجاه ، فقد تتلمذت على يديه عندما كان يدرس مادة التربية الإسلامية ، بالدبلوم الخاص بكلية التربية جامعة الأزهر منذ عام ١٩٧١/٧٠ . فكانت إسهاماته ، ومحاضراته ، النواه الأولى ، والبذرة التي وضعت ، لتنمو شجرة التربية الإسلامية بمعالمها ، والتي أخذت الآن أبعادا كثيرة في مجال علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وغيرها من فروع المعرفة .

وقصة ظهور مقرر التربية الإسلامية ، وبداياتها يقدمها بتفاصيلها د. سعيد إسماعيل ويمكن الرجوع إليها في كتاب سيادته : ("بحوث في التربية الإسلامية" ، مركز التنمية البشرية والمعلومات ١٩٨٧، المقدمة).

إن الكتاب الذي بين أيديكم هو بحث في صورة كتيب صغير يحمل في طياته محاولة متواضعة ، أدخل بها هذا العالم ، بعد تردد في أن ينشر على مستوى أوسع ، ولكن الخوف من التجربة الأولى لا يجدي ، وما عليّ إلا أن اعرض بضاعتي وعلى الآخرين ، قبولها أو رفضها ، أو مناقشتها ، وكم أكون سعيدا إذا ما وجدت صدى لهذه الدراسة ، من كل جوانبها فنحن مازلنا في دور التكوين .

نريد إثراء الفكر بالحوار وتبادل الأفكار واحترام الرأي الآخر ، فإذا أخطأت في اجتهادي هذا ، فعند الله ليّ أجر واحد ، وإذ أصبت فليّ أجران . ففي كلتا الحالتين أنا كسبان .

ومع كلمة المكسب والخسارة ، إريد أن أنوه بأن هدفي من إخراج كتبي ونشرها ، لن ولم يكن هدفا ماديا ، ويكفيني فخرا وشرفا أن تتداول كتابتي بين الدارسين وتصبح في متناول الجميع ، ورغم ارتفاع سعر كلفة الكتاب ، إلا أنني أقدمه بأقل من كلفته الحقيقية ، حيث أن جهود الكتابة والجهد الفكري ، أقدمهما مجانا للقراء .

والكتاب الذي بين أيديكم ، هو خلاصة دراسة مقارنة بين رؤيتين، لكاتبين لهما اسهامات كثيرة في الكتابات الإسلامية ، وقد

أردت أن اتناول أحد أعمالهما بالدراسة والتحليل ، فأخذت كتاب العقاد (الإنسان في القرآن) وكتاب عائشة عبد الرحمن (مقال في الإنسان؛ دراسة قرآنية) لكي أحلل نظرتيهما إلى الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم ؛ وكيف كانت رؤيتيهما لها . وكان التقويم والتحليل ومداخل الدراسة تأخذ في الاعتبار الأهداف التي وضعها كل من المفكرين في متن كتابهما .

وأسأل الله التوفيق والهداية لنا جميعا .

د.محمد وجيه الصاوي
كلية التربية - جامعة الأزهر
مدينة نصر - ج . م . ع

المحتوى

الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم

دراسة لآراء العقاد وعائشة عبد الرحمن

مقدمة

كلنا يعرف مكانة العقاد وعائشة عبد الرحمن في الأدب العربي ، وفي ميدان الدراسات الإسلامية ، فلهما باع طويل ، وإسهامات كثيرة في مجال البحوث الإسلامية ، التي تأصل المفاهيم وتردها إلى جذورها الإسلامية ، فبشراء قريحتهما استجلا حقائق أنارت لنا طريق البحث لمعرفة حقائق الإسلام ودحض أباطيل خصومه.

فالعقاد وعائشة عبد الرحمن لهما من الخلفية الإسلامية والاهتمامات المشتركة ما جعلهما يتناولان موضوعات إسلامية متقاربة ، مما دفع الباحث لتناول كتاب "الإنسان في القرآن " للعقاد ، وكتاب "مقال في الإنسان ؛ دراسة قرآنية " لعائشة عبد الرحمن ، كدراسة تحليلية لمفهوم الإنسان كما جاء في الكتابين.

والدراسة تحاول التعرف على الطبيعة الإنسانية كما عرضها كل من العقاد وعائشة ، من خلال القرآن الكريم . ومعرفة نقاط الاتفاق والاختلاف في النظرة إلي الطبيعة الإنسانية فيما بينهما ، والجديد الذي أتي به كل منهما ، مع عرض بعض الملاحظات والاستنتاجات .

وسوف نستخدم في هذه الدراسة أسلوب تحليلي بموضوعية ، وهذه الدراسة ليست تقويمية ، حيث أننا لم نبن إطارا مرجعيا نُقوّم في ضوئه . ولكن سنحاول أن نبرز أساليب البحث ومنهجه عند كل من العقاد و عائشة ، والصيغة الفكرية التي وجّهت تفسيرات وتأويلات

كل منهما. واضعين في الاعتبار أن ما جاء في الكتابين - المشار إليهما - ليس كله هو رأي القرآن الكريم بالضرورة ، حيث أن العقاد وعائشة مجتهدان في مجال الأدب العربي والرؤية الإسلامية لطبيعة الإنسان من خلال فهمهما للقرآن الكريم . فقد يكون أحدهما أكثر إقناعا للقارئ أو يكون أحدهما أكثر بعدا عن الواقع الذي يرفضه العقل، ولنا أن نقبل أو نرفض. فهذا البحث تحليل ناقد بعيد عن التحيز أو الحكم القبلي .

والدراسة تبدأ بعرض موجز لجوانب الطبيعة الإنسانية كما عرضها الكتابان ، ثم نعرض لجوانب التشابه والاختلاف بينهما ، والجوانب التي ركز عليها كاتب دون الآخر ، والجديد الذي جاء به كل منهما ، مع عرض لبعض الملاحظات والاستنتاجات التي قد تسفر عنها الدراسة.

أهمية الدراسة :

هذه الدراسة تتناول بنوع من التحليل ، مشكلة الطبيعة الإنسانية كما عرضها كتابا العقاد وعائشة عبد الرحمن . فالكتاب الأول صدر في عام ١٩٦١ م عن سلسلة كتاب الهلال (رقم ١٢٦) بعنوان "الإنسان في القرآن".

والكتاب الثاني نشر عام ١٩٦٩م عن دار المعارف ، تحت عنوان "مقال في الإنسان ؛ دراسة قرآنية".

ونظرا لأن الكتابين يحملان عنوانين متقاربين في المعنى أو نستطيع القول عنوانين متشابهين ، مما دفع الباحث لمعرفة الدوافع الكامنة التي أدت بالكاتبين إلي وضع كتابيهما ، ومعرفة جوانب

التشابه والاختلاف بينهما.

كما أن من الأسباب التي دفعت الباحث لمثل هذه الدراسة هو استجلاء مفهوم الطبيعة الإنسانية وتحديد سماتها ، ومكوناتها ، من خلال رؤية أثنين من مفكري الإسلام وهم ثقات في مجال التربية الإسلامية ، كي نستطيع أن نكمل صورة الإنسان المسلم ، الذي نسعى إلى إعداده وتربيته تربية إسلامية صحيحة. ونسترشد في أثناء العملية التعليمية بما يفيدنا في حسن توجيه المتعلم ، ومعرفة دوافعه وحاجاته ، في ضوء الفكر الإسلامي المستنير.

مشكلة الدراسة :

تتناول : **الطبيعة الإنسانية في القرآن من خلال رؤية العقاد وعائشة .**

ولكي نبحث في هذا المجال يجب أن نستوضح ما يلي:

١- الهدف الذي دفع كل من العقاد وعائشة لكتابة بحثيهما .

٢ - الأسلوب الذي انتهجه كلا منهما في كتابة البحث.

٣ - الاتجاه الفكري الذي اصطبغ به كل من الكتابين.

٤ - أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما لتفسير الطبيعة الإنسانية.

٥ - الجديد الذي أتي به كل منهما ، وأضافه لفهم الطبيعة الإنسانية .

٦ - الجوانب التي لم يتناولها كل من الكاتبين.

٧ - الاستفادة التي يمكن أن نجنيها ، كتطبيقات تربوية ، في ضوء الكتابين.

منهج وأسلوب الدراسة:

سوف نستخدم أسلوب التحليل للفكرة ، ونعمل على جمع الجوانب التي تتشابه مع بعضها عندما يعرض الكاتب جانب من جوانب الطبيعة الإنسانية حتى نخرج بصورة متكاملة . ولن نضع معيارا للتقويم ، غير أنه في نهاية الدراسة تستلزم الإشارة إلى معرفة مدى ما حققه ، والتزم به الكاتب في عرضه للكتاب ، في ضوء الهدف الذي وضعه في مقدمة كتابه ليعلن مقصده الذي من أجله بدأ دراسة الطبيعة الإنسانية ، ومن ثم سوف يتضح لنا إلى أي مدى اقترب أو ابتعد عن هدفه المنشود.

كما أن الدراسة سوف تتجنب - عند عرض الموجز للأفكار الرئيسة للكتابين - أن تذكر الاستشهادات القرآنية التي وردت في متن الكتابين ، إلا عند الضرورة ، وذلك نظرا لكثرتها ، وأن القصد هو إبراز المعاني الهامة للأفكار التي تناولها كل من المفكرين ، وسوف نختتم البحث بالتعليق وبعض الملاحظات الجوهرية على الشكل العام لترتيب الكتاب وفق ما جاءت به عناوينه الفرعية ، وكذلك أسلوب العرض والتوثيق والاستشهاد بالآيات القرآنية.

خطوات الدراسة:

تبدأ الدراسة بعرض موجز وشامل للأفكار التي جاء بها الكتابان ، بدءا بكتاب العقاد ، حيث أنه نُشر قبل كتاب عائشة ، ثم يتلو ذلك عرض لأهم النقاط التي اتفق عليها كل منهما ، وكذلك الجوانب التي تباينا فيها ، وبعد ذلك نقدم الرؤية الجديدة التي أضافها

كل منهما لفهم الطبيعة الإنسانية.

كما ستحاول الدراسة إبراز الدوافع والأسباب الكامنة وراء تركيز كاتب على فكرة معينة دون غيرها ، ونحاول توضيح الاتجاه الفكري الغالب في عرض كل من الكتابين. والأسلوب الذي انتهجه الكاتب في عرض فكرته.

وبعد ذلك سوف تقدم الدراسة نقدا للجوانب التي لم يركز عليها الكتابان ، والطريقة العلمية في التوثيق بالاستشهاد من النص القرآني ، وكذلك الترتيب المنطقي في عرض الأفكار ، مع إستخلاص بعض النتائج وتقديم التوصيات التي قد تفيد في مجال التربية الإسلامية.

كما نود أن نذكر بأنه نظرا لكثرة الإشارات التي تحيل القارئ بالرجوع إلي أصول الكتابين ، وقد تكون هذه الإحالات مرهقة للقارئ وتبعده عن المتابعة ، فقد فضلنا أن نشير إلى كتاب العقاد "الإنسان في القرآن" بالرمز (أ) وهو أول حرف من عنوانه ، وكذلك بالنسبة لكتاب عائشة "مقال في الإنسان " نشير له بالرمز (م). ويلي ذلك رقم الصفحة المراد الرجوع إليها ، وإذا أردنا الإشارة إلى كلا الكتابين وضعنا بينهما خط مائل . (مثال ذلك "أ٧ / م٥")

أولا: الطبيعة الإنسانية في كتاب العقاد

ظهر كتاب العقاد "الإنسان في القرآن " عام ١٩٦١م في سلسلة كتاب الهلال العدد ١٢٦، ويقع في ٢١٨ صفحة من القطع الصغير ، ويشتمل الكتاب على مقدمة من سبع صفحات . ويضم الكتاب فصلين أو قسمين ، القسم الأول يبدأ من صفحة ١٥ إلي صفحة ٧٠ ، ويحمل عنوان "الإنسان في القرآن " ويحتوي العناوين الفرعية التالية: (المخلوق المسئول - الكائن المكلف - روح وجسد - النفس - الأمانة - التكليف والحرية - أسرة واحدة - آدم) .

أما القسم الثاني فيحمل عنوان "الإنسان في مذاهب العلم والفكر" ويبدأ من صفحة ٧١ إلى صفحة ٢١٨ ، ويضم العناوين الفرعية التالية : (عمر الإنسان - الإنسان ومذهب التطور - التطور قبل مذهب التطور - أثر مذهب النشوء في الغرب - مذهب التطور في الشرق العربي - الدين ومذهب دارون - سلسلة من الخلق العظمى - الإنسان في علم الحيوان وفي علم الأجناس البشرية - الإنسان في علوم النفس والأخلاق - مستقبل الإنسان في علوم الأحياء - عود على بدء) وتجدر الإشارة هنا أننا سوف نقصر دراستنا على عرض القسم الأول من كتاب العقاد ، نظرا لأنه وثيق الصلة ببحثنا ، أما القسم الثاني فسوف نشير إليه عند الحاجة لذلك.

مقدمة الكتاب والهدف منه:

يطرح العقاد في مقدمة كتابه سؤالا ، "ماذا تعرف عن نفسك ؟ ويرى أنه لا يوجد جواب لهذه المشكلة غير العقيدة الدينية التي يؤمن بها الإنسان ، كما يكرر طرح مجموعة من الأسئلة : ما مكان الإنسان من الكون ؟ ما مكانه بين أبناء نوعه من الجنس البشري ؟ ثم يعيد نفس الإجابة بأنه لا جواب لهذه الأسئلة في غير عقيدة دينية تجمع للإنسان صفوة عرفانه بدنياه وصفوة إيمانه بغيبها المجهول .. وتجمع له زبدة لثقة بعقله ، وزبدة الثقة بالحياة ، حياته وحياة سائر الأحياء والأكوان (أ ١٠).

إن أهل الكتاب "القرآن الكريم" يتدبرون القول فيتبعون أحسنه إذا تدبروا فلم يأخذوا بعقيدة من هذه العقائد التي يروجها دعاتها باسم المادية ، أو الفاشية ، أو العقلية ، ويريدون بها أن تكون على الزمن بديلا من العقائد الإلهية ، ومن عقائد الغيب الذي يحسبونه معدوما أو موجودا كمعدوم. (أ ١٢).

فإن القرن العشرين سينتهي بما استحدث من مبادئ ومذاهب وايديولوجيات ولا ينتهي بما يعلمه أهل القرآن من القرآن ، فإن القرآن يعمل عمل الدين الصالح ، إذ سمح للعقل أن يتلمس الحقيقة مع كل فرض من الفروض ، وترك له أن ينتهي بها إلى نهاية شوطه ، مسئولا عن نتيجة عمله وعما يفيد أو لا يفيد من جهوده ومحاولاته ، فليس من عمل الدين أن يتعقب هذه الفروض والنظريات في معرض الجدل لتأييد تفسير ، أو خذلان تأويل ، وحسبه أنه يملي للعقل في عمله ولا يصده عن سبيله فهذا هو الوفاق المطلوب بين العقيدة والبحث وبين الإيمان والتفكير . (أ ٢١٤).

ويرى العقاد أنه يخطئ من يقحم القرآن في تأييد النظرية العلمية قبل ثبوتها فمثله في الخطأ مثل من يقحم القرآن في تحريمها وهي بين الظن والرجحان ، وبين الأخذ والرد ، في انتظار البرهان الحاسم بين بينات العقل ، أو مشاهدات العيان ، فقد أخطأ جهلاء الدين والعلم الذين حرّموا القول بدوران الأرض ، وهو أثبت من وجودهم علي ظهرها .

وتصبح مشكلة البحث عند العقاد هي "تفنيد نظريات النشوء والتطور والعقائد الأخرى ، الخاصة بالنظرة إلى طبيعة الإنسان ، وإثبات أن القرآن الكريم كان الرأي الشافي ، والجواب الوافي ، الذي عالج الطبيعة الإنسانية بمفهوم أعمق وأشمل" تلك هي محاولة العقاد في كتابه (الإنسان في القرآن).

أما الهدف الذي دفعه لذلك فهو توضيح قيمة الإنسان في القرآن الكريم أمام دعاوي النظريات والعقائد والإلحادية التي جاءت بها أفكار القرن العشرين ، حيث أن الإنسان في عقيدة القرآن الكريم هو الخليفة المسئول بين جميع ما خلق الله .. يدين بعقله فيما رأى وسمع ، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب ، فلا تدركه الأبصار والأسماع . (أ ١٤).

وهذا ما سنوضحه من خلال عرض كتاب العقاد وتلخيصه .

المخلوق المسئول:

يرى العقاد أن الإنسان مسئول عن عمله - فردا وجماعة - لا يؤخذ واحد بوزر غيره ، ولا أمة بوزر أمة ، (أ ١٧) . والمسئولية في القرآن جامعة لكل ركن من أركانها تصل إلى حكمة التشريع الديني أو الوضعي ، فهو تبليغ ، وعلم ، وعمل،:

أ- التبليغ ، فلا تحق التبيعة على أحد لم تبلغه الدعوة .

ب - العلم ، أمر بالقراءة ، وهي أول آية نزلت على الرسول ، وأول فاتحة في خلق الإنسان وهي العلم " وعلم آدم الأسماء كلها" (البقرة ٣١) ولا يسأل الإنسان عما يجهل ، ولكنه يسأل عما علم وعما وسعه أن يعلم ، (أ ٢١).

ج - والعمل ، مشروط بالتكليف وفق طاقة المكلف.

ووصف القرآن الإنسان في الذروة من الكمال المقدور له بما استعد له من التكليف ، ووصفه له وهو في الدرك الأسفل من الحطة التي انحدر إليها بهذا الاستعداد "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين" (التين ٤-٥)

فيجد العقاد أن الجمع بين النقيضين في الإنسان ينصرف إلى وصف واحد ، وهو الاستعداد الذي يجعله أهلا للترقي إلى أحسن تقويم ، وأهلا للتدهور إلى أسفل سافلين ، (أ ٢٠-٢١). وآيات خلق جسد الإنسان لم تخل مما يوحي إلى المخلوق المسئول أن أطوار خلقه السوي إعداد لما هو أشرف من حياته الحيوانية ، وبرهان من براهين التبليغ برسالة الغيب ، لعله ينظر في الخلق فيرى فيه آثار الخالق العظيم الذي لا تدركه الأبصار والأسماع.

الكائن المكلف:

يعجب العقاد من التوافق بين تميز الإنسان بالتكليف وبين خطاب العقل في هذا الكتاب المبين ، بكل وصف من أوصاف العقل ، وكل وظيفة من وظائفه في الحياة الإنسانية ، ويرى أن مكان الإنسان في القرآن الكريم هو أشرف مكان له في ميزان الفكر ، وفي ميزان الخليقة الذي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات ، فهو الكائن المكلف ، أفضل من قول البعض "الكائن الناطق" إن لم يكن هذا النطق أهلا لأمانة التكليف.

ويؤكد العقاد أن كتاب الله الكريم الذي ميز الإنسان بخاصة التكليف ، هو الكتاب الذي أمتلأ بخطاب "العقل" بكل ملكة من ملكاته ، فالعقل الوازع ، العقل روية وتدبر ، بصيرة تنفذ وراء الأبصار ، ذكرى تأخذ من الماضي للحاضر ، فالعقل موصول بكل حجة من حجج التكليف ، وكل أمر بمعروف ونهي عن محظور ، (أ ٢٤)

هذا العقل بكل عمل من أعماله التي يناط بها التكليف ، حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء، ومن أمر أنفسهم ، ومن أمر خالقهم ، وخالق الأرض والسماء.

لا يسقط التكليف عن العاقل أن يطيع المتحكمين بطغيان الحكم أو طغيان الكهانة ، ولا يمنعه التكليف أن يسأل من يعلم أن كان لا يعلم ، لأن طلب العلم يحقق واجب التكليف ولا يعطله أو يلغيه ويوجب على المتعلم أن يتبين من يسأل وهو مسئول عما يفعل ، (أ ٢٨-١٩).

إن الإيمان بالعقل المسئول هو الباعث البيّن الذي يفسر ما لم

يفسره صغار العقول من اختتام النبوة واختتام الكهانة واختتام سلطان الحاكمين على الضمير ، وأن انتظامه كله على هذه السُنة المتفقة لهو الآية الناطقة بإذن الله، (أ ٣٠).

روح وجسد:

يري العقاد أن عقيدة الروح إحدى العقائد الغيبية في القرآن الكريم ، وهي أساس عميق من أسس التدين ، ولكنها لا تعطل عقول المؤمنين بها ولا تبطل التكليف بخطاب العقل المسئول وهو يؤدي حق التمييز وحق الإيمان والإسلام ، إسلام الأمر كله إلى الخالق المعبود.

فالروح والجسد ، في القرآن ، ملاك الذات الإنسانية ، تتم بها الحياة ولا تنكر أحداهما في سبيل الآخر ، (أ ٣١). كما لا يجوز أن نبخس الروح حقا لنوفي حقوق الجسد . والقرآن الكريم ينهي عن تحريم المباح كما ينهي عن إباحة المحرم . كما يجب على المؤمن أن يكسب الطيبات من صنع يده ، وأن ينعم بالطيبات من ثمرات الأرض ، لأنها نعمة مشكورة لا يحل له أن يجتنبها.

وتمكين الإنسان في الأرض أن يبتغي فيها معيشته ، وأن يتخذ منها زينته ولا يزهد في شيء من خيراتها ، بل الزينة للعباد واجبة ، فهو من تمكين بني آدم بين خلائق الله ، هو من حق المعيشة الأرضية ، وواجب الحياة الدنيوية ، لا تناقض فيه بين روح وجسد ، " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا" (القصص٧٧). فيؤكد بذلك العقاد على أنه ليس في القرآن فصام بين روح وجسد.

النفس:

يقول العقاد أن النفس الإنسانية أشرفها وأرفعها ما كان أقربها

إلى الصفات الإلهية ، وأدناها وأخسها ما كان أبعدها من تلك الصفات . فالروح هي أقربها إلى الحياة الباقية وأخفاها عن المدارك الحسية ، وأنها الجانب الذي استأثر الله بعلمه واحتجب عن أنبيائه لأنه سر الوجود المطلق . كما يرى العقاد أنه لا قدرة للعقل الإنساني المحدود على الإحاطة به ووعيه ، أما العقل والنفس ، في القرآن الكريم ، فإن النفس أقربهما إلي الطبع أو القوة الحيوية التي تشمل الإرادة ، كما تشمل الغريزة ، وتعمل واعية كما تعمل غير واعية ، وتأتي في آيات كثيرة مرادفة للقوة التي لا تدركها النوم ، يزهقها القتل ، وتحس النعمة والعذاب وتلهم الفجور والتقوى ، وتحاسب على ما يعمل من حسنة أو سيئة ، فهي قوة تعمل ما تريد ، مهتدية بالعقل ، أو منقادة لنوازع الطبع والهوى.

ويوضح العقاد أن جملة هذه القوى من النفس والعقل والروح هي "الذات الإنسانية" وكل قوة منها تدل على ذات الإنسان في حال من أحواله ، ولا تتعدد الذات الإنسانية بأية صورة من صور التعدد ، لأنها ذات نفس أو ذات روح أو ذات عقل ، فإنما هي إنسان واحد في جميع هذه الحالات.

وقد أشار العقاد إلى علماء النفس وربط بين ما قالوه عن النفس ، والنفس التي ذكرها القرآن الكريم ، بأن قوة الدوافع الغريزية هي النفس الأمارة بالسوء ، وقوة النفس الواعية تقابل النفس الملهمة ، وقوة الضمير تقابل النفس اللوامة ، ويقصد بها (الأنا العليا Super ego والأنا Ego والهي Id) ثم أضاف قوة الإيمان والثقة بالغيب تقابل النفس المطمئنة.

ويلاحظ العقاد أن في كل موضع من هذه المواضع تُذكر النفس

الإنسانية بعامة هذه القوى .. فتجمعها خاصة واحدة هي خاصة الإنسان في القرآن : وهي خاصة الكائن المكلف المسئول ، والذات الإنسانية أعم من النفس والعقل ومن الروح ، حين تذكر كل منهما على حدة ، فإن الإنسان يحاسب نفسه لينهاها عن هواها ، ولكن الروح من أمر الخالق الذي لا يعلم الإنسان منه إلا ما علمه الله ، ويتوسط العقل بين القوتين ، فهو وازع للغريزة ومستلهم لهداية الروح (أ ٤٠).

فالإنسان يعلو على نفسه بعقله ، ويعلو على عقله بروحه . فيتصل من جانب النفس بقوى الغرائز الحيوانية ، ودوافع الحياة الجسدية ، ويتصل من جانب الروح بعالم البقاء وسر الوجود الدائم وعلمه عند الله ، وحق العقل أن يدرك ما وسعه من جانبه المحدود ، ولكنه لا يدرك الحقيقة كلها من جانبها المطلق إلا بإيمان وإلهام. (أ ٤١)

الأمانة:

يعرض العقاد معنى كلمة "الأمانة" ومواضع ذكرها في القرآن الكريم ، مستشهدا بآراء المفسرين الثقات منهم : الزمخشري ، وابن كثير ، والسيوطي ، ومحمد عبده ، ويخلص من ذلك بأن كلمة الأمانة في قوله تعالى : "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا" (الأحزاب ٧٢) ، فهذه الأمانة التي يعرضها الخالق على عامة الخلق فحملها الإنسان ولم يحملها غيره من المخلوقات فهي أعم من المناسبات الخاصة والمناسبات العامة بالنسبة إلى أحكام التبليغ ، لأن الأمر فيها أمر التكوين والاستعداد بالفطرة التي فطر عليها العاقل وغير العاقل ، وفي هذا الموضع من القرآن الكريم ذكرت هذه الفطرة مقرونة بفطرة الخليقة كلها ، وذكر معها صفة الإنسان التي تخصه بين عامة

المخلوقات حين يتقبل أعباءها ويحملها ، وما كان ليحملها إلا أن يتعرض لتبعاتها فهو ظلوم جهول ، ظلوم لأنه تعدى الحدود وهو يعرفها ، وجهول لأنه يتعدى تلك الحدود وهو لا يعلمها ، وعنده أمانة العقل التي تهديه إلى علمها ، وإنما يوصف بالظلم والجهل من يصح أن يوصف بالعدل والمعرفة ، ومن يصح أن يسأل عن فعل يريده في الحالين ، (أ ٤٤).

ويقرر أن معنى الأمانة في هذا الحكم العام على أنه التكليف ، (أ ٤٥) ومن خلال ما عرضه العقاد من رأي للمفسرين لمعنى "الأمانة" في الآية السابقة ، بأنهم أجمعوا على أنه التكليف ، وأن الاختلاف على المذام التي تترتب عليه أنما هو دليل على معنى الاستعداد الفطري للمذام وما عداها ، وعلى معنى الوقوع في المذمة بمجاوزة حدود التكليف ظلما مع العلم بها ، وجهلا مع القدرة على التعليم والاسترشاد في أمرها ، (أ ٤٨).

التكليف والحرية:

يؤكد العقاد على أن شروط التكليف هي: طاعة ، وحرية . ثم يعرض بأسلوب منطقي فلسفي ، قضية الحرية والتكليف ، يخلص من هذا بأن العقل الذي يزيد عليه الإيمان ، هو العقل الذي خاطبه القرآن الكريم بالتكليف ، أو هو العقل المؤمن الذي تعنيه النبوة بالتذكير والتبشير ، وهو المسئول أن يسمح إلي النبي المرسل من عالم الغيب ، فلا معذرة له بعد حجة الغيب والتسليم ، وبعد حجة الشهادة والتفكير . ومع التسليم بهذا الموجود الكامل ، لا يعرف عقل الإنسان تكليفا غير التكليف الذي بسطته نصوص القرآن الكريم ، فلا معنى للتكليف أصلا أن لم تكن فيه طاعة ، وحرية ، ولا معنى للحرية من وراء إرادة

الخالق وإرادة المخلوق، (أ ٥٦). فهو بذلك يقرر أنه إذا كانت الإرادة المطلقة هي إرادة الله ، فخلق الناس مكلفين بغير إرادة لهم ؛ شيء غير معقول وغير مقبول ، لأن سقوط التكليف لا معنى له في هذه الحالة إلا أن يخلق الناس جميعا متشابهين متماثلين متساوين في العمل الصالح الذي يساقون إليه كما تساق الآلات ، فلا فضل إذن للعاقل على غير العاقل ، ولا تمييز للإنسان على الجماد . ومن ثم يرى العقاد أن إرادة الإنسان حرة باختلاف قدراتها.

أسرة واحدة :

يتعرض العقاد لشرح نظريات أصل النوع البشري وتطوره بصورة موجزة، ولمن قال من العلماء بتقسيمه إلى عناصر وسلالات ، ثم إلى القول بتصنيف الجنس البشري إلى أصناف وفق سكن القارات ، وتصنيف وفق الألوان ، فإن القرآن الكريم ، قد وضع الإنسان - علما ودينا - في موضعه الصحيح ، حين جعل تقسيمه الصحيح أنه "ابن ذكر وأنثى" وأنه ينتمي بشعوبه وقبائله إلى الأسرة البشرية التي لا تفاضل بين الأخوة فيها بغير العمل الصالح وبغير التقوى . "إن أكرمكم عند الله اتقاكم" (الحجرات ١٣) . ونسميهم أمما .

ويجد أن في تعدد الشعوب والقبائل والأمم حكمة إلهية هي إحكام صلة التعارف بينها وتعريف الإنسانية كلها بأسرار خالقها ، ومسعى لاستخراج كنوز الأرض على حساب المواقع والأزمنة وعلى حسب الملكات ، والعادات التي تتفتق عنها ضرورات العيش والذود عن الحياة ، فتتعدد الحضارات والثقافات ، وهذا هو حكم القرآن في وحدة بني الإنسان في تدعيم هذه الوحدة ، بما يحسبه الناظر المتعجل نوعا من أنواع الافتراق والتباين ، وهو تعدد الشعوب والقبائل

واختلاف اللغات .

وهذه الوحدة في صلة الإنسان بالإنسان ، مرتبطة بالوحدة بين الناس كافة في الصلة بالله الذي يسوي بينهم فيقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالقسطاس والعدل ، وأيهم أحسن عملا واقرب إلى التقوى واستباق الخيرات ، (أ ٦٠-٦١).

ويجد العقاد أن "العالم الإنساني" كلمة غير مفهومة عند من يدين برب غير رب العالمين ، وأن قيم الأخلاق كيل جزاف حين تنقطع الأسباب بين الحسنات والسيئات وبين الثواب والعقاب ، وأن "الإنسانية الجامعة" شيء لا وجود له قبل أن يوجد الإنسان المسئول . وإنما توجد "الإنسانية الواحدة " ويتساوى الإنسان ، والإنسان مع الإله الواحد رب الناس أجمعين ، أفضلهم عنده أتقاهم وأصلحهم وأسبقهم إلى الخيرات ، ثم يتسائل العقاد عن معنى "التقوى" ويجيب بأنها كلمة واحدة تجمع كل وازع يزع الضمير ، وأقدر الناس على النهوض بالتبعية ، وأعرفهم بمواضع المعروف والمنكر والمباح والمحظور. والإنسان التقي هو الإنسان الإنسان.

فليس جملة الإنسان ماثلة في تفضيل العلماء على الجهلاء أو الراشدين على القصر ، أو الأذكياء على الأغبياء ، فإن العالِم يفضُل الجاهل بالعلم ولا مراء ، ولكنة قد يؤوب مفضولا عند المقابلةَ بينهما في نوع من أنواع الخبرة ، وهكذا كل راجح وكل مرجوح بميزان المال والنسب والخلائق ، أو العادات ولكننا إذا حكمنا بأن إنسانا يفضل إنسانا بالقدرة على التبعات فهو الراجح لا مراء ، في كل ميزان من موازين المفاضلة بين بني الإنسان ، (أ ٦٤). ويعني بذلك أن المفاضلة التي لا يقابلها مثيل هي في حالة كون الإنسان يتحمل التبعات والمسئولية والتكليف.

آدم :

يقول العقاد بأن قصة آدم عليه السلام هي قصة الإنسان الأول ، خلق من تراب ، وارتقى المخلوق السوي إلي منزلة العقل والإرادة ، وتعلم الاسماء كلها فضلا عن العلم الذي ميزه على خلائق الأرض ، وقضى الله سبحانه وتعالى له بكسب فضله بجهده ، وأن يكون جهده نتاج غلبة إرادته ، وانتصارا لعقله على جسده ، (أ ٦٦) ثم يعرض لنا العقاد قصة الخلق والآيات التي تصور لنا ذلك من خلال قوله تعالي: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك .." (البقرة ٣٠-٣٨) ومن الآيات الكريمة يستخلص العقاد من قصة خلق آدم عليه السلام العبر والعظات التالية:

- قصة الخلق من الغيب الجدير بالإيمان.
- فيها من أمر الحياة الإنسانية ما يسعه خطاب العقل ، ويقبله بعلم منه يوافق الإيمان.
- هذا العلم يقيم الحياة أو العلم "بالقيم " العليا في حياة الإنسان وسائر الأحياء.
- لسنا نعلم شيئا بغير السماع والإلهام ، عن خلائق العقل التى تفردت فيها العقول على الأبدان.
- العقل الإنساني يأبى أن يصدق أن هذا الكون خلو من معدن العقل إلا أن ينبت عرضا ، في جزء من مادة الأرض بعد نشوء الإنسان.

- تلك سياسة الخالق التي أذنت للكائنات العاقلة في عالم الروح أن تعلم مداها من الرقي في معارج الحياة ، وأن تتلقى الأمر بالسجود للقيمة الجديدة التي تنفرج عنها استار الغيب ويودعها الخالق في هذا الكيان المرسوم بالإنسان..(أ ٦٩).

- من بديهة الإيمان أن تدع للدين حقه في تبليغ هذه النشأة إلى المؤمنين بالغيب وأن تدع للعقول حقها فيما وسعت من علم فيما وسعها من تعليم .

ونتيجة بحث العقاد :

جاء بأن القرن العشرين لم يضع الإنسان في موضع أكرم له وأصدق في وضعه عند أهل القرآن ، بين خلائق الأرض والسماء وبين أمثاله من أبناء آدم وحواء . موضعه بين خلائق الأرض والسماء بأنه المخلوق المميز الذي يهتدي بالعقل فيما علم ، وبالإيمان فيما خفي عليه ، وموضعه من بني آدم وحواء أنهم أخوة وعشيرة واحدة أكرمها من كرم بما يعمل وحسن ويتجنب من سوء ، وأفضلها من له فضل بما كسبه وما اتقاه ، لا يُدان بعمل غيره ولا ينجو من وزره بغير عمله (أ ٢١٧)

والإنسان في عقيدة القرآن هو المخلوق المسئول بين جميع ما خلق الله ، يدين بعقله فيما رأى وسمع ، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب ، فلا تدركه الأبصار والأسماع .

بعد أن عرضنا كتاب العقاد بشيء من الإيجاز ، يجدر بنا أن نقدم كتاب عائشة عبد الرحمن كي تكتمل الفكرة عن الكتابين.

ثانيا : الطبيعة الإنسانية في كتاب عائشة عبد الرحمن

صدر كتاب "مقال في الإنسان ؛ دراسة قرآنية" عن دار المعارف ، عام ١٩٦٩م ويقع في ١٧٥ صفحة من القطع المتوسط ، يبدأ الكتاب بإهداء ، ثم مقدمة بعنوان "هذا الإنسان " ويشتمل هذا الكتاب على جزءين ، أو قسمين ، القسم الأول معنون بـ "قصة الإنسان" ويضم العناوين الفرعية التالية : (من المبتدأ إلي المنتهى - أسجدوا لآدم - خلق الإنسان علمه البيان - أمانة الإنسان - حرية الإنسان - الحرية والرق - حرية العقيدة - حرية العقل والرأي - حرية الإرادة) والقسم الثاني بعنوان "مصير الإنسان " يحتوي على الموضوعات الآتية : (الوجود والعدم - جدل في البعث -العرض والجوهر - عالم الروح - إنسان العصر الحديث بين الدين والعلم).

المقدمة ، والهدف من الكتاب:

في الإهداء نجد أن مأساة فقدان عائشة عبد الرحمن لزوجها أمين الخولي ، قد ألهمها البحث عن الإنسان من المبتدأ إلي المنتهى ، فعكفت على القرآن الكريم وحده تستخرج منه الآيات لتعرف من هو الإنسان ، وطبيعته . فهي مجاهدة من أجل اكتشاف سر الذات (م ٧) . فالهدف هو محاولة فهم الطبيعة الإنسانية كما صورها القرآن الكريم

وفي المقدمة التي تحمل عنوان "هذا الإنسان " نجدها تتخذ لها عنوانا آخر وهو الإنسان والإنس والبشر ، فيه توضح المعنى اللغوي لكلمة الإنسان والمعاني القريبة منه كالبشر ، أو الناس ، أو الإنس ، لتعرف هل هناك ترادف بينهم ؟ فوجدت أن المعاجم اللغوية ترادف بين

المعـاني هذه ، ولكن القـرآن الكريم يرفض هذا التـرادف ، ثم تحـصي الآيات التي ذُكرت فيـها كلمة بشر ، وكذلك الآيات التي ذكرت فيـها كلمـة الناس ، وأيضا لفظ الإنس ، وتوضح مدلول كل لفظ والمناسبات التي ذكرت فيـها . فـتقـول : "فـأفضي في تدبر آيات القـرآن عن هذا الإنسان بوجه خاص ، إجتلاء صورته ، وخصائص إنسانيته التي يتميز بها عن مجرد كونه فردا من النوع البشري أو من الإنس" (م ١٥).

وبعد ذلك تتطرق إلى مكونات خلق الإنسان ، وتستشهد بآيات كثيرة ، ثم تقول إن الإنسان في القرآن الكريم هو الذي يختص بالعلم ، وله من وسائل التعقل والتبصر تبعات التكليف ومسئولية الثواب والعقاب ، ثم إن الإنسان هو الذي يتحمل الوصية وهموم المكابدة ، واقتحام العقبة ، لتحقيق وجوده الإنساني وأداء مسئوليته الاجتماعية ، كما أنه يتعرض لتجربة الابتلاء ومحنة الغواية ، ويظل الإنسان ما عاش كادحا لمصيره، (م ١٨-١٩).

قصة الإنسان : من المبتدأ إلى المنتهى:

لم تحاول عائشة أن تجادل في مسائل نظريات التطور وغيرها ، فتقول: "ولا مجال هنا لجدل حول نظرية التطور وخلق آدم" (م ٢٥). فترى أن آدم هو الإنسان الأول الذي بدأ منه طور البشرية ، وتشير بأن القرآن ذكر ذلك في قوله تعالى : "وقد خلقكم أطوارا" (نوح ١٤). كما أنها تبتعد عن الخوض فيما ذهب إليه المفسرون لكيفية خلق آدم من تراب أو طين لازب، (م ٢٥). وأشارت إلى بحث لمحمد كامل حسين في رده على هذا القول ، فتؤيد خلق آدم من تراب ، حيث تبرر ذلك بأننا نعود إلى التراب ، ونتحلل إلى عناصر تتغذي الأحياء من نباته ومعادنه.

ومن بدء الخليقة اصطفى الإنسان الأول للخلافة في الأرض ، (م ٢٦) كما ترى أن الملائكة طور سابق على خلق آدم ، (م ٢٧) كما تعتقد أن الآدمية ليست ملائكية ولا إبليسية ، ليست جبرية تسليم وطاعة تسخير ، ولا هي محض شر وشهوة تمرد واصرار على ضلال ، وإنما هي تحقيق للذات عن تمييز ووعي وإرادة . وهي تجربة الابتلاء ، يتعرض فيها آدم للغواية فيغوى ، ثم يؤرقه ضميره وتحاسبه النفس اللوامة ، فيندم ويتوب . فالابتلاء يقضي أن يكون أمام آدم شرور تغويه لكي تُمتحن طاقته وتُصهر معدنه.

كما ترى أن أمانة الإنسان تعني أن يواجه التجربة ويخوض المعركة بين الخير والشر ليكون خيره له وشره عليه . والإنسان ما خلق ليعيش في أفق الملائكة التي تسبح بحمد الخالق وتقدس له ، وإنما خلق ليعيش حياته على هذه الأرض ويمارس خلافته فيها ، والخير المحض لا يبرر الخلافة ، إن كان جبريا بغير إرادة واختيار (م ٢٩).إ

إسجدوا لآدم:

تبدأ عائشة بعرض آيات كريمة من القرآن (سورة البقرة ٣١-٣٨) وتجد أن وجه الإيثار المبرر للخلافة في الأرض هو العلم ، وبه كان الرد على الملائكة فيما عجبت له من استخلاف آدم في الأرض . وتشير إلى ما قيل عن خلق حواء من ضلع آدم ، وتقرر أن ليس في القرآن كله ما يشير من قريب أو بعيد إلى أنها خُلقت من ضلعه أو غير ضلعه، (م ٣٣) إنما فيه أنها زوجه ، خلقهما الله من نفس واحدة وخلق منها زوجها .

كما دافعت ، واوضحت ما شاع بين الكثيرين من أن حواء خلقت

من ضلع أعوج ، وتقول أن الضلع تعبير مجازي ، إنما هي وصية من نبي الإسلام بالترفق بالمرأة والتحذير من أخذها بالشدة . كما أشارت إلى غواية حواء لآدم ، فتوضح أن إبليس تعرض لآدم مباشرة بالإغواء والوسوسة ، وأن حواء شاركته بالأكل من الشجرة المحرمة، (م ٤٣).

ثم تتطرق إلى التفسيرات والتأويلات التي قيلت بشأن الاسماء التي علمها الله سبحانه وتعالى لآدم ، وتستنتج من اختصاص آدم بعلم الأسماء كلها التي لم يكن للملائكة علم بها ، في سياق الاقناع بإيشاره بالخلافة في الأرض وأهليته لها ، وتتبنى رأي محمد عبده القائل بأن كل حي من الأحياء المحسوسة والغيبية له استعداد محدود وعلم إلهامي محدود ، أما الإنسان فقد خلقه الله ليتميز عن دون الكائنات الأخرى ، بالقدرة على تحصيل العلم الكسبي واستعداده لكسب المعارف الوضعية ، فالإنسان بهذه القوة غير محدود الاستعداد ، ولا محدود الرغائب ولا محدود العلم ، ولا محدود العقل ، (م ٣٩).

وتستخلص من سورة البقرة في خلافة آدم في الأرض ، وأمر الملائكة بالسجود له أمرين:

- أنه تكريم للإنسان الأول ، بالسجود وتبرير لما اختص به آدم من علم يختلف عن علم الملائكة.
- أن الخلافة في الأرض اقتضاها ما يحتمل النوع الآدمي من أمانة إنسانية ومسئولية عمله وكسبه ، وتبعة الابتلاء التي اعفى منها الملائكة بالتسخير المطلق ، (م ٤١).

خلق الإنسان علمه البيان:

تتحدث عائشة عن الأمانة الصعبة التي حملها الإنسان حيث أن علم الإنسان من اختصاص البيان ، مع ربط سياقه في القرآن بمعجزة النبي عليه السلام ، ويأخذ البيان من حيث وضعه القرآن ، مكانته الأصيلة في إنسانية الإنسان ، فإذا كان البيان في عمومه خاصا بالإنسان الرشيد ، المميز بالناطق المبين ، فإن ارتباطه بمعجزة النبي العربي يتجه به إلى دلالة أخص بالعرب الذين أختص الله منهم نبي الإسلام .

وتضيف بأن سلطان البيان لا تنفرد به لغة دون أخرى ، (م ٤٨) إنما هو عام في اللغات الإنسانية . إذا فليس اختصاص الإنسان بالبيان محدودا باقتداره عليه دون الحيوان الأعجم ، بل يتسع مفهوم ذلك الاختصاص فيشمل انفعال الإنسان بالبيان وتذوقه إياه ، وإدراكه لواقعه المسيطر على منافذ التأثير والوجدان . وهو أداته في التعبير المبين ووسيلته إلى ممارسة قدرته على التفكير وأهليته للتعلم التي استحق بها أن يكون خليفة في الأرض (م ٤٨) وتشتشهد بآيات كثيرة في هذا المقام.

أمانة الإنسان:

ترى عائشة أن حمل الإنسان للأمانة ، من أخص ما يميز دلالة الإنسانية في البيان القرآني عن الإنسية ، أو البشرية ، بصريح إسناده إلى الإنسان دون الناس أو الإنس أو البشر . وتعرض وتعدد المواضع التي ذكرت فيها كلمة الأمانة في القرآن الكريم وهي لا تتفق مع تأويلات بعض المفسرين عندما قالوا أن الإنسان وحده هو الذي طاق

حمل الأمانة فلم يؤدها على حين لم تطقها السماوات والأرض والجبال فأدينها طاعة وامتثالا لأمر الخالق وتخلصن من عبء حملها ، (م ٥٤). وقد شرحت معنى كلمة "الحمل" وترى أنه لا يمكن أن يكون الحمل هو النكوص عن العبء أو خيانة المحمول والتخلي عنه . وتجتهد في تفسير معنى مادة "حمل" وفق ما جاء بالقرآن الكريم ، فهي ترى أن الأمانة وحملها ، هي "الابتلاء بتبعة التكليف ، وحرية الإرادة ، ومسئولية الاختيار" (م ٥٨) وقد حملها الإنسان تحقيقا لذاته ، وممارسة لخلافته في الأرض ، ولو كان من قبيل التسخير لأعفاه من المسئولية والحساب ، لكنه أبى إلا أن يحتمل أمانة إنسانيته ، وإن جهل خطرها ، وقصر في الوفاء التام بكل حقوقها . "وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا" (الأحزاب ٧٢).

وتجد أن لفظ الأمانة مرادف للتكليف ، والمسئولية ، والتبعة والعهد . ولا يعني قصور إدراك الإنسان لتبعة الأمانة أو تقصيره في أداء حقها أن يؤثر السلامة فيشفق من حمل الأمانة ويأباها ، بل لا بأس عليه من مخاطر الابتلاء ، وعثرات الجهل ، فإنما العبرة بصدق النية ويقظة الضمير ، وصحة الإيمان ، (م ٥٩).

حرية الإنسان:

ترى عائشة أن حمل الإنسان للأمانة يؤثر حتميا على المكانة التي أقرها له الدين بخلافته في الأرض ، بما تقتضيه هذه الخلافة من حق التصرف وأهلية المسئولية ، وبما تلقيه على عقل الإنسان وضميره من تبعات جسام أعفيت منها كل الكائنات الأخرى ، ويظل الوضع غير واضح إذ لم يقم على حق مقرر للإنسان في الحرية ، حريته العامة منذ مولده ، وهي حرية الإنسان المناقضة للرق ، وهي أدنى المراتب التي

تتقرر للإنسان بمجرد مولده إنسانا ، تليها حرية الاعتقاد وحرية الفكر ، وهما من لوازم إنسانيته ، ثم حرية الإرادة وهي أصعب عنصر من عناصر القضية ، وإن كانت الأساس الذي يقوم عليه حمل الإنسان أمانته ، وأهليته للخلافة في الأرض ، (م ٦٣)

الحرية والرق:

ترى أن حق الحرية من الرق يتقرر أصلا بأن جوهر الدين كله هو عبادة الله وحده لا نشرك بعبادته أحدا ، وتلمّح بما قارن به بعض المستشرقون بوضع الرق في أمم سابقة "كالرومان ، واليونان ، والفرس" غير أن عائشة لا تقارن أو تفعل مثل ما فعلوا ، ولكنها تلوذ بموقف القرآن تجاه هذه المسألة ، (م ٦٨) وتقرر أن الإسلام لم يكتف في مواجهة المأساة بتقرير المساواة بين الناس جميعا وتحريم العبودية لغير الله وحده وهذا هو جوهر الدين كله ، إنما عمد الإسلام إلى إغلاق المنفذ الجديد للاسترقاق من ناحية ، وإلى تصفية الرق القائم في عصر المبعث ، من ناحية أخرى.

ثم تشرح لنا ، متأثرة بخلفيتها الأدبية اللغوية ، مواضع استخدام كلمة "العبيد" في القرآن ، فتقول : "لم يستعمل القرآن لفظ العبيد في الرقيق ، وهي صيغة الخاصة بجمع عبد ، إنما يأتي لفظ العبيد للمخلوقين ،" (وما ربك بظلام للعبيد" (آل عمران ١٨٢ ، الأنفال ٥١ ، الحج ١٠، فصلت ٤٦، ق ٢٩). وترى أن القرآن الكريم تحاشى تخصيص العبيد للرقيق واستعمل في جمعهم صفة "عباد" (النور ٣٢) وهي صيغة تأتي كذلك في البيان القرآني للصفوة من عباده ، (م ٧٣).

حرية العقيدة:

تقول عائشة أن الصراع الديني والخصومة المذهبية قديمة في أعماق الزمن ، وفكرة تسامح الإسلام واحترامه لحرية الاعتقاد والتدين ، لا تكفي لبيان استشراف الإنسانية إليه . فالإسلام في إقراره حرية التدين ، يلزم أتباعه بهذا الإقرار دينا وعقيدة وسلوكا ، ولا لمجرد التسامح أو المجاملة ، والمسالمة . فإن العقيدة لا تكون عقيدة حتى تصدر عن اعتقاد ، والإيمان لا يكون إيمانا حتى ينبع من القلب والضمير عن رضى خالص وطمأنينة صادقة.

وتكتشف عائشة أن هناك غاية قد أراد كتاب الإسلام أن تكون وهي "الوحدة الجامعة" تلتقي فيها الإنسانية المتدينة على الإيمان بالله ، ولا نفرق بين أحد من رسله ، "ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك" (فصلت ٣٤).

وبعد أن تعرض الآيات والشواهد توضح أن الإسلام أكد أن الحقيقة في الأديان واحدة ، يمكن أن تلتقي عندها المتدينون جميعا فوق أحقاد التعصب وفواصل الخلاف ، (م ٨٢) ولقد حرر الله الإنسان من السلطة والكهنوتية وسيطرتها على العقيدة الدينية بالقهر والتحكم ، بما أخذت من صفة الوساطة بين العبد المتدين وخالقه ، وما ادعت من سلطة إلهية تمنح بها صكوك الغفران ، وهذا ما أبطله الإسلام فلم يأذن لأحد أن يتوسط بين العبد وخالقه.

حرية العمل:

ترى عائشة أن حرية الاعتقاد بأن يكون للإنسان حق السؤال حين تعوذه طمأنينة القلب ، ثم تعرض قصة إبراهيم عليه السلام ، "قال

ربي أرني كيف تحي الموتى " (البقرة ٢٦٠) ثم عرجت إلى قصة اهتداء إبراهيم عليه السلام إلى الحق التي بدأت بالشك والحيرة ، ومحاولته التدبر والتفكير في الكواكب وبعد ذلك القمر ثم الشمس ، (الأنعام ٧٦-٧٩) وقصص القرآن الكريم وضعت لنأخذ منها العبرة ، (م ٩٣).

وتقدم عائشة تفسيرا للجدل في القرآن ، فترى أن كثرة الجدل ظاهرة إنسانية من تلك الخواص التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات " ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا" (الكهف ٥٤). ومن ثم قدّر الإسلام طبيعة هذا الإنسان التي يختلف فيها عن طبيعة الملائكة وبقية الكائنات . كما لا يفوتها أن تذكر موقفين لأمرأتين : الموقف الأول مع المرأة التي جادلت الرسول عليه السلام ، وذهبت تشتكي زوجها . والموقف الثاني مع المرأة التي جادلت عمر في المسجد، (م ٩٨) فهي هنا تريد أن تنوه إلى أن بنات جنسها لهن مواقف مشرفة ، وأنهن شقائق للرجال.

حرية الإرادة:

ترى عائشة أن الإرادة عنصر هام جوهري من كل لا يتجزأ وهو الحرية الكاملة للإنسان بمقتضى إضطلاعه بحمل الأمانة ، وتتبنى رأي ابن رشد في قوله: "إذا كان شرط التكليف الاختيار ، فكيف نتصور أن يتحمل الإنسان الرشيد تبعة التكليف إذا فقد الاختيار الذي هو شرطه ؟" (م ١٠١) ، وتعرض في ثنايا هذا الفصل مشكلة الجبر والاختيار ، وترى أن القدرية تؤكد الجبر ، والمعتزلة تؤكد الاختيار

المطلق ، والشيعة والأشعرية تقف موقفا وسطا (م١٠٢)، وتعيد أفكار ابن رشد ، ورأي الصوفية في قولهم "إن لله عبادا إذا أرادوا أراد" (م١٠٣).

وتوضح ماقاله المستشرقون عن تخلف العرب لاعتقادهم في الجبرية ، ثم تطرح وجهات نظر بعض مفكري وكُتّاب المسلمين (م١٠٥)، وتقول أننا سندور في متاهة يحار فيها الدليل إذا نحن وقفنا عند نقل ما قال به أصحاب الجبر وأصحاب الاختيار (م ١٠٦) ، فترجع إلى كتاب الله دون الالتزام بأي رأي سابق ، وتحدد مفهوم الإرادة بأنها " تعني مجرد الرغبة والميل ، ولا هي تقف عن التفكير والاتجاه إلى عمل ما ، إنما تكون الإرادة حين تنتقل النية إلى عمل ، ويستقر العزم عليه في تصميم مهما تكن العوائق والموانع".

وتقرر أن مبدأ الأعمال بالنيات لا يعني الإلزام بالمسئولية على مجرد النية ، بل يقدر سبق العمد ويفرق بين أعمال تمت عن إرادة وتصميم ، وأخرى بدرت عن غير نية ، فالعبرة بالعمل عن سبق نية ، حتى مع وجود موانع خارجية تحول دون نفاذ العمل بعد القصد إليه والشروع فيه (م ١٠٧) ، وإذا كانت الرغبة تمهيدا للإرادة وكان العزم من لوازمها ، فمن الضروري أن نتدبر استعمال القرآن الكريم لكل من الرغبة والعزم . ثم تعرض كثيرا من الشواهد والأدلة وتستنتج أن هناك فرقا بين مفهوم الإرادة حين تكون من الخالق حكما وقضاء ، ومفهوم الإرادة حين تكون من المخلوقين رغبة واختيارا وعزما ، وتحصر الآيات التي تبرهن بها على أن إرادة المخلوقين هي التي تسبق ؛ فتختار وبعدها تأتي إرادة الله وفق ما أرادوا (م ١٠٨).

وتتساءل عائشة، هل نقول أن القرآن يقرر الجبر ،كما يقرر

الاختيار ؟

فنقر بتناقضه واختلافه ، حاشاه أن يكون ، ثم تحصي الآيات التي تسجل الإرادة الإلهية بنحو خمسين آية ، وإرادة المخلوقات بنحو تسعين آية . وتصل إلى حل هذه المشكلة بأن ندرك أن مفهوم إرادة المخلوق غير المفهوم من إرادة الخالق . فإرادتنا كسبية ، مصحوبة بعزم مسبوق برغبة وتفكير ، وليست كذلك إرادة الله ، حيث لا يجوز عليه سبحانه وتعالى أي عمل أو صفة كسبية ، على ما هو مقرر في علم التوحيد (م ١٠٩).

فإرادة الله حكم عادل ونافذ ، لا يلغي الإرادة الكسبية للإنسان ، ولا يعفيه من تبعة اختياره الحر لعقيدته وعمله . "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" (يونس ٩٩).

فمفهوم إرادتنا في القرآن غير مفهوم إرادة الله ، إرادتنا كسبية حرة فيما نعمل ، وإنما الجبر في حتمية المصير لما أردناه باختيارنا ، والحكم الإلهي العادل في إلزامنا بتبعية اختيارنا الحر إلزاما جبريا لا مفر منه ولا مهرب . وبغير الحرية تنتفي حكمة إرسال الرسل ، وتتعطل قدرة الإنسان على حمل تكاليف أمانته في هذه الحياة الدنيا (م ١١٧).

مصير الإنسان : الوجود والعدم:

تعرض عائشة فكرة الحياة بعد الموت ، والتناسخ عند الهنود ، والبعث عند قدماء المصريين ، وفي الإسلام نجد الكلمة الأخيرة للأديان

، في مصير هذا الإنسان الذي خاض معركة طويلة مضنية من أجل الحياة ، وأعياه مع ذلك أن يتحدى قانون الموت القاهر النافذ (م ١٢٣)، وترى أن الاقتناع بمسألة الحياة الأخرى بعد الموت أمر صعب ، فالإنسان يشق عليه تصور رجعة الحياة بعد أن تفنى الأجسام ، وقد سجل القرآن ما أثير من جدل حول البعث وعرض علينا شبهات من أنكروه.

جدل في البعث:

ترى عائشة أن ما يقدمه الدين في كتاب الإسلام إلى الإنسان ليطمئن قلبه إلى إمكان البعث هو أن يضع أمام بصره وبصيرته ، وحسه ووجدانه ، آية القدرة الإلهية المعجزة في خلق الإنسان أول مرة ، فلن يعييها أن تعيده مرة أخرى وذلك أهون . ثم تعرض ما قدمه البيان القرآني إلى الإنسان من آيات تبرهن على أن الذي خلقه أول مرة قادر على أن يعيد خلقه مرة أخرى ، فإذا شق على الإنسان أن يتصور حياة بعد الموت فليتأمل الكون حوله فالأرض تحيا بعد موتها (م ١٣٠).

العرض والجوهر:

تجد عائشة أن القرآن الكريم لا يشق على الإنسانية بالتزهيد في الدنيا والتذكر بفنائها لكي نرفضها يأسا منها ، وإنما يرى للإنسانية أن تأخذ من حتمية الموت عبرة تحميها من الأثرة والشر والتهالك على ا لمتاع الدنيوي الزائل كما تتخذ من إيمانها بالحياة الأخرى ما يعصمها من محنة العدم التي روعت البشرية منذ بدأت حياتها على الأرض ، فبقدر ما يلح القرآن الكريم في التذكير بالموت وفناء الحياة الدنيا ، يلح كذلك في مقاومة فكرة العدم ، وفي ترسيخ الإيمان بحياة أخرى باقية ،

يرتهن مصير الإنسان فيها بما قدّم في دنياه تأصيلا لدعوة الدين إلى الحق والخير والعمل الصالح (م ١٣٧).

كما ترى أن البشرية هي هذه الآدمية التي تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ، ويتمتع جميع أفرادها بالشهوات الحسية ، على وجه المماثلة ، والإنسان يتحمل تبعات الأمانة والعهد والوصاية وأعباء التكليف والمسئولية والمكابدة ، وهو الذي يختص بالعلم والعقل والبيان ، وهنا يتفاوت أفراد الإنسانية بمقدار ما يتحملون من عبء تبعاتها ، وما يكابدون من مشاق المجاهدة في سبيل تحقيق مثلها الأعلى ، فلا يستوي الخبيث والطيب ولا المؤمن والفاسق ، ولا العالم والجاهل .

وتكرر عائشة قولها بأن الابتلاء هو المكابدة ، التي تتمثل في السعي لتحقيق الوجود الأمثل للإنسان ، واقتحام العقبة لمشارفة آفاق الحق والخير ، والمجاهدة الباسلة لمقاومة نوازع الأثرة والشر وجواذب الفتنة بمغريات الحياة الزائل .

فإذا كانت الإنسانية قد فزعت من فكرة العدم وتشبثت بأمل البقاء بعد الموت فإن الدين يمنحها هذا الأمل المرجو مع توجيه كل طاقاتها إلى المقاومة الباسلة في معركة الصراع الأبدي بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والمجاهدة في سبيل تحقيق الوجود الأسمى للإنسان (م ١٣٩).

عالم الروح:

تبدأ عائشة بعرض آراء بعض الفلاسفة ، منهم من يذكر الروح ويعني بها النفس ، كما يذكرون النفس ويعنون بها الروح ، وترى أنه قد أعياهم أن يصلوا إلى كنهها ، وإن عرفوا من ظواهرها أنها سر

الحياة ، متى فارقت الجسد فسد ومات ، ثم تشرح معنى الروح لغويا ، وتذكر أن القرآن الكريم يفرق بين الروح والنفس ، ولا يعتبرهما شيئا واحدا ، الروح تأتي في سياق القرآن بمعنى السر الإلهي ، الذي تصير به المادة الآدمية كائنا حيا ، أما النفس فتأتي في القرآن بمعنى الذات العامة ، أي بعنصرها المادي والمعنوي ، ومن ثم يجوز عليها الموت والقتل (م ١٤٥).

وبهذا لا تكون النفس مرادفة للروح التي هي سر الحياة ، لكنها كذلك ليست مرادفة للجسد ، بل لعلها أقرب إلى إن تعني الضمير أو العنصر المعنوي من الإنسان وتسوق هنا بعض الأدلة القرآنية للبرهنة على ذلك ، وتؤكد أن النفس في القرآن الكريم هي التي توصف بالطمأنينة ، والرضا ، ومنها يكون التضرع والخيفة والاستيقان ، والإيثار والخداع ، والحسد ، والمقت والوسوسة (م ١٤٧)، ويتعلق بها الإيمان والكفر والهدى والضلال ، والخيانة والفجور والتقوى كما أنها تتحمل كذلك التكليف كما تتلقى الجزاء ثوابا أو عقابا .

وتوضح لنا عائشة أن القرآن الكريم لا يستعمل الجسد أو الجسم في سياق الحديث عن الجزاء أو الحساب ، فلم يأت لفظ الجسد فيه إلا بمعنى الصور والشخوص ، فكأن تحاشي القرآن استعمال الجسد والجسم في الحديث عن الآخرة إذ أن الثواب والعقاب لا يتعلقان بالجسم وحده دون النفس . ويبدو أن هذا الملحظ ، في ندرة استعمال القرآن للفظ الجسم وحديثه عن الجسد ، هو ما جعل كلمة "النفس" تدخل في الفكر الإسلامي بمعنى الروح ، وكأنهم فهموا من كونها تموت أو تقتل ، تعطل الحياة وتوقفها .

بعد ذلك نرى عائشة تعرض آراء الفلاسفة المسلمين في تفسيرهم

معنى الروح ، منهم ابن سينا ، واخوان الصفا ، والكندي ، والفارابي ، كما تشرح أيضا معنى كلمة "روح" في القواميس والمعاجم العربية لتخرج من ذلك بأنهم جميعا قد جعلوا الروح مرادفة للنفس (م ١٤٨).

ثم تتحدث عن الأحلام والرؤيا كوسيلة متاحة للإنسان يلقي بها أحبابه بعد رحيلهم ، ونجد أن هذا نوع من التفسير يلائم موقف عائشة من فقدان زوجها ، وتستطرد بقولها : "أن البشرية قد عاشت دهورا وأحقابا لا تجد غير الرؤى بديلا لما كان الإنسان يحيا به في الأمس الذي ولّى . ثم تدلل على ذلك من خلال الأدب ، وذلك بذكرها أبيات من الشعر العربي ، تبرز من خلاله معاني الروح والنفس والرؤية وغيرها (م ١٥٢-١٥٣) ، وتستنتج أن القرآن الكريم لا يستعمل الحلم إلا بصيغة الجمع مع إضافة الأحلام إلى أضغاث ، دلالة على الخلط والتشويش والتداخل ، على حين تأتي "رؤيا " في القرآن مفردة دائما ، دلالة على الوضوح والتمييز .

وتتحدث عائشة عن عالم الروح الغيبي واستحضار الأرواح ، وترجع إنحسار موجه الروحانيات إلى غلبة المادية على العصر من ناحية ، وإلى التطور العلمي الحديث من ناحية أخرى (م ١٥٩)، كما ترى أن قليلا من الناس من التفت إلى أن الدين يلتقي مع العلم في هذا الموقف (م ١٦٠) ، إذ يأبى علينا أن نحوض في الغيبيات بغير علم ، فالعلم الحديث يدرك حق الإدراك أن وراء الظواهر الكونية أسرارا خفية ، لكنه يتجه ببحوثه إلى دراسة الظواهر وكشف الخصائص ، تاركا أسرار الميتافيزيقا حتى تخرج من نطاق الغيبيات فيسقط عنها الحرج ، أما حين يصل العلم إلى اكتشاف شيء مما نعده غيبا ، فإنه يخرج من نطاق الخطر ويسقط عنه الحرج الديني والحرج العلمي.

إنسان العصر بين الدين والعلم:

تعرض هنا عائشة نظريات تاريخ العلم والتطور البشري ، والصراع بين العلم والدين وأن الإنسان في عصرنا هذا يواجه موقفا عصيبا بين الدين والعلم (م ١٦٥) وترى أن العداء ليس بين الدين والعلم ، وإنما هو في الحقيقة عداء بين رجال من الفريقين ، ملأ الأفق بغبار المعركة فتاهت الرؤية وسط النقع المثار (م ١٦٨) ، فتؤكد أن جوهر الرسالات الدينية لا يمكن أن يتصادم مع حقائق العلم ، وإنما ينشأ التصادم من سوء فهم لجوهر الدين أو لطبيعة العلم ، ومن وهم خاطئ ربط الإلحاد بالأمجاد العلمية للدول الشيوعية . وتضيف عائشة أن استغلال الدين ضد طبيعته لعرقلة التقدم كاستغلال العلم ضد طبيعته لتدمير الحضارة وإهلاك البشر . وليس الدين مسئولا عن التأويلات الفاسدة ، والأوهام التي تُلابس الفكر الديني من العقلية الكهنوتية ، كما أن العلم ليس مسئولا عن نكبة هيروشيما ومعارك فيتنام ، ولبنان وفلسطين وغيرها.

وتصف عائشة ربط الإلحاد بالتقدم العلمي ، بالوهم الذي لا يقل سذاجة وغفلة عن ربط الدين بالتخلف الحضاري ، والجمود العقلي والمخدرات المعنوية التي سلطتها الكهنوتية على وجدان الجماعات في عصور المحنة بالرق ، والاستبداد والتخلف . فتكرر بأن ما من صدام حقيقي يمكن أن يقوم بين جوهر الدين في دعوته إلى الحق والخير ، وبين جوهر العلم في سعيه الدائب لإسعاد البشر .

وتختم هذا الفصل بتوضيح أن الدين قال كلمته ، فبرر سجود الملائكة لآدم وجعل العلم قرين الإيمان ، وقصر خشية الله على العلماء لأنهم بما يتدبرون من عجيب آيات الحياة وسنن الكون ، يؤمنون بأن

شيئا من هذا لا يمكن أن يكون عبثا باطلا أو تلقائية عشواء (م ١٦٩) ، وإنه لا تعارض بين العلم والدين ، أو بين الإيمان بالدين والإيمان بالعلم ، فليس أحدهما بالذي يناقض الآخر أو يجور عليه ، بل يمضيان معا على الطريق لخير الإنسانية في عمومها المطلق ويحدوان خطوات البشر الفاني على معبر الدنيا ، كي يحقق كمال إنسانيته ، فيترك للحياة من بعده ما ينفع الناس (م ١٧٤).

نتيجة بحث عائشة:

نخلص بأن الإنسان في القرآن الكريم هو الذي يختص بالعلم ، وله من وسائل التعقل والتبصر وتمييز الخير والشر ، ما يميزه عن سائر المخلوقات وما يؤهله لحمل الأمانة ، وتحمل تبعات التكليف ومسئولية الثواب والعقاب ، ثم أن الإنسان هو الذي يتحمل الوصية وهموم المكابدة ، واقتحام العقبة ، لتحقيق وجوده الإنساني وأداء مسئوليته الاجتماعية . كما أنه يتعرض لتجربة الابتلاء ومحنة الغواية ويظل الإنسان ما عاش كادحا لمصيره .

بعد أن عرضنا بشيء من الإيجاز الأفكار الرئيسة في كتابي العقاد وعائشة عبدالرحمن ، يجدر بنا أن نوضح الجوانب التي التقيا فيها ، والنواحي التي تباعدا عندها ، حتي تكتمل الصورة.

ثالثا : جوانب الالتقاء

من العرض السابق يتضح أن هناك اتفاقا كبيرا ، يصل إلى درجة التشابه أو التطابق بين الكتابين ، وهذا ما سوف نوضحه ، عند عرض نقاط الاتفاق ، في الأفكار التي ناقشها الكتابان ، حيث أننا نجد أن الكتابين يتشابهان إلى حد كبير في تقسيمهما وفي عناوينهما الفرعية . فمن حيث أقسام الكتابين نجد أن كتاب العقاد "الإنسان في القرآن " يضم قسمين ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ، ونجد كتاب عائشة ينقسم إلى قسمين ، بالإضافة إلى التشابه فيما بينهما من المحاور التي تناولت الطبيعة الإنسانية ، وذلك يتضح من تشابه عناوين تلك المحاور أيضا ، كما سنوضحه على النحو التالي:

١ - يحتوي كتاب العقاد على العنوانين الآتيين : (المخلوق المسئول) و (الكائن المكلف) ويقابل هذين العنوانين في كتاب عائشة "خلق الإنسان علمه البيان " و "حرية العقيدة " و "حرية الإرادة".

٢ - يحتوي كتاب العقاد علي عنوان (روح وجسد) ويقابله في كتاب عائشة العنوانان الآتيان : "العرض والجوهر" و "عالم الروح".

٣ - يقابل عنوان (الأمانة) عند العقاد ، عنوان "أمانة الإنسان" عند عائشة .

٤ - عنوان (التكليف والحرية) في كتاب العقاد ، يقابله "حرية الإنسان" و "الحرية والرق" في كتاب عائشة.

٥ - يقابل عنوان (آدم) في كتاب العقاد عنوان "اسجدوا لآدم" في

الكتاب الثاني.

ثم في نهاية كل من الكتابين نجد تشابه أيضا في التناول ، فالعقاد يبحث في (الإنسان في مذاهب العلم والفكر) ويفرد له القسم الثاني من كتابه ، أما عائشة فتختتم كتابها بتناول "إنسان العصر بين الدين والعلم" . تلك هي جوانب الالتقاء في رؤوس الموضوعات . فماذا عن الأفكار، والرؤية في التفسير والاجتهاد ؟ هذا ما سنقدمه ونعرضه بشيء من التفصيل.

- ينظر كل منهما إلي الإنسان على أنه خُلق من تراب ، أو طين لازب ، وتتطابق التعبيرات أيضا ، يقول العقاد "قصة آدم عليه السلام في القرآن هي قصة الإنسان الأول.. خلق من تراب " (أ ٦٦) كما تقول عائشة " تبدأ قصة الإنسان بخلق آدم ، أبي البشرية .. فآدم في النص القرآني هو الإنسان الأول .. والله تعالى لم يقصر الخلقة من تراب أو من طين على آدم وحده ، بل يستوي في ذلك الناس جميعا"(م ٢٥)

- كما يتفقان على تفسير معنى قوله تعالى "وعلم آدم الأسماء كلها" (البقرة ٣١). بأن الله خص الإنسان بالعلم وهيأ له من وسائل التعقل والتبصر ، والتمييز بين الخير والشر ما يميزه عن سائر المخلوقات ، وهذا من جوهر إنسانيته. (م ١٨). وتبين لنا وجه استحقاقه لمقام الخلافة في الأرض (م ٣٨) ، وهو نفس المعنى الذي أخذ به العقاد مستشهدا بتفسير الإمام محمد عبده (أ ٤٦ و ٦٨) .

- نجد أن الإنسان عند كل من العقاد وعائشة ، يوصف بمجموعة من السمات تتطابق فيها وجهات نظرهما بدرجة كبيرة ، "الإنسان يميز بالتبليغ والعلم والعمل .. وبخطاب العقل" (أ ١٨ و ٢٢)، وفي كتاب عائشة " الإنسان محض العلم والبيان والعقل والتمييز" (م ١٥).

- اتفق العقاد وعائشة على أن كلمة "أمانة" تعني "التكليف" وذلك بعد رجوعهما إلى كتب العلماء الثقات في مجال التفسير وعلوم القرآن ، ويقول العقاد "ولقد وضح معنى الأمانة في هذا الحكم العام وضوحا لا يقبل اللبس أو الانحراف بالفهم عن جوهره المقصود ، وهو التكليف فمن لم يذكره من المفسرين بنصه ، ذكره بمقتضياته ومتعلقاته ، وهي ملازمة له لا تنفك عنه" (أ ٤٥). وتقول عائشة "أفلا تكون هذه الأمانة هي الابتلاء بتبعة التكليف وحرية الإرادة ومسئولية الاختيار ؟ بلى هذه في الأمانة فيما أطمئن إليه ، بعد طول تأمل لآياتها في البيان القرآني (م ٥٨).

- ويؤكدان أيضا على أن حمل الأمانة يستلزم ، الحرية والمسئولية والطاعة ، فيرى العقاد "من شروط التكليف طاعة وحرية" (أ ٥٠) ، ويضيف "فإذا كانت الإرادة المطلقة هي إرادة الله ، فخلق الناس مكلفين بغير إرادة لهم ، شيء غير مقبول .. إن الحرية المخلوقة حرية صحيحة.. " (أ ٥٢-٥٣). وعائشة تقول : "..حرية الإرادة ، وهي أصعب عنصر من عناصر القضية ، وإن كانت الأساس الذي يقوم عليه حمل الإنسان أمانته ، وأهليته للخلافة في الأرض" (م ٦٣) . ومن ثم يتضح أن كليهما يؤكد الإرادة الحرة للإنسان.

- كما أن السمة التي يتفوق بها الإنسان على سائر الكائنات ليست النطق بل التكليف ، وبيان العقل ، يقول العقاد "هو الكائن المكلف .. هو كائن أصوب في التعريف من قول القائلين أنه الكائن الناطق .." (أ ٢٣). وتؤكد ذلك عائشة بقولها: "ويأخذ البيان من حيث وضعه القرآن ، مكانته الأصيلة في إنسانية الإنسان ..وقد جهد الفلاسفة والمفكرون في الوصول إلى خصوصية تميز النوع الإنساني عن عموم جنسه في الحيوان ، فكان النطق هو هذه الخصوصية .. وإذ يعد القرآن البيان خصوصية مميزة للإنسان عن عامة الجنس الحيواني" (م ٤٦). وتقصد عائشة هنا بالبيان "إرادة الإنسان في التعبير المبين ، ووسيلته إلى ممارسة قدرته على التفكير وأهليته للتعلم التي يستحق بها أن يكون (الكائن المكلف) خليفة الله في الأرض" (م ٤٨).

- ويتفقان أيضا على أن الإنسان يتحمل نتائج أعماله ، وأنه ليس للإنسان إلا ما سعى فالعقاد يقول :"الإنسان لا يُدان بعمل غيره ، ولا ينج من وزره بغير عمله" (أ ٢١٧). وتقول عائشة: "الإنسان وحده هو المسئول عن عمله ، المحاسب عليه ثوابا وعقابا ، لا يحمل أحد عنه تبعة مسعاه ، ولا يفوت بغير جزاء" (م ٥٨).

- ونقطة الانطلاق واحدة في تقرير أصل خلق الإنسان من نفس واحدة ، فهي دليل المساواة بين البشر ، ولا فرق بين إنسان وآخر ، ولا تفضيل بينهما إلا بالتقوى . فيقول العقاد: "الإنسانية من أسلافها إلى أعقابها أسرة واحدة لها نسب واحد وإله واحد ، أفضلها من عمل حسنا ، واتقى سيئا ، وصدق النية فيما أحسنه واتقاه" (أ ١٤). ويضيف "إنه القسطاس الذي ينشيء للإنسانية حقوق المساواة بين أبنائها دينا وعلما وفلسفة وشريعة.." (أ ٦٤). وعائشة تقول: "فإن كتاب الإسلام

قد تشدد في تقرير المساواة التامة المطلقة بين البشر ، فهم جميعا سواء ، خلقوا من نفس واحدة" (م ٦٧). وتضيف "وليس لقوم أو جنس يزعمون الحق في استعباد قوم غيرهم بدعوى تفاضل بالقوة أو التمدن أو الثراء.. وحسم كتاب الإسلام التفاضل بين الأفراد والشعوب بغير التقوى والعمل الصالح" (م ٦٧-٦٨). وكلاهما يستشهد بالآية الكريمة " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم ، إن الله عليم خبير" (الحجرات ١٣). ويزيد العقاد في شرح معنى التقوى بأنها "جمع كل وازع يزع الضمير وأقدر الناس على أمانة التقوى أقدرهم على النهوض بالتبعية وأعرفهم مواضع المعروف والمنكر والمحضور ، والإنسان التقي هو الإنسان الإنسان" (أ ٦٣).

- ويأخذ كل من العقاد وعائشة بفكرة خلود الروح ، وارتقاء مكانتها عن غيرها من مكونات الذات الإنسانية ، فيقول العقاد : ".. في الكتاب المبين قد نتبين أن الروح هي أقربها إلي الحياة الباقية ، وأخفاها عن المدارك الحسية ،وأنه الجانب الذي استأثر الله بعلمه واحتجب عن أنبيائه ، لأنه سر الوجود المطلق" (أ ٣٧) وتقول عائشة : "فظهر القول بخلود الروح تعزية لهذا الإنسان عن بلى جسده " (م ١٢٢). وتضيف " والروح هي السر الإلهي الذي تصير به المادة الآدمية كائنا حيا .. لا تكون النفس مرادفة للروح التي هي سر الحياة .." (م ١٤٤ -١٤٥).

- وكذلك يؤكدان على أن الطبيعة الإنسانية تتكون من الجسم والروح ، أو الروح والنفس ، غير أن العقاد يضيف "العقل" كمكون ثالث للذات الإنسانية ، فيرى أن الروح لا قدرة للعقل الإنساني المحدود

على الإحاطة به ووعيه إلا بما يناسبه من الإشارة والتقريب" (أ ٣٧). ولذلك لم يخض العقاد في تفصيلات عنها . بينما عائشة ترى الروح هي السر الإلهي الذي تجلى في مريم المصطفاة ، فحملت جنينها الحي " (م ١٤٤). ونأتي إلى نظرة كل منهما إلى النفس فنجدها تتطابق حيث يقول العقاد : "العقل والنفس في بيان القرآن ؛ فالراجح أن النفس أقربهما إلى الطبع أو القوة الحيوية التي تشمل الإرادة كما تشمل الغريزة ، ووتعمل واعية كما تعمل غير واعية ، وتأتي في مواضعها من الآيات الكثيرة مرادفة للقوة التي يدركها النوم ، والقوة التي يزهقها القتل والقوة التي تحس النعمة والعذاب وتلهم الفجور والتقوى ، وتحاسب على ما تعمل من حسنة وسيئة .." (أ ٣٨). وعائشة تكرر ما سبق بقولها: "..فالنفس يلحظ أنها تعني الذات بعامة ، أي بعنصريها المادي والمعنوي ، ومن ثم يجوز عليها الموت والقتل .. وهي التي توصف بالطمأنينية والرضى ، والاستيقان ، والخداع ، والوسوسة ، والفجور والتقوى .. " (م ١٤٥ و ١٤٧).

وجدير بالذكر أن نشير إلى أنهما قد رجعا إلى فكر اليونان القديم وخاصة فكر أفلاطون ، وذلك عندما تطرقا إلى الطبيعة الإنسانية ومكوناتها ، ولمزيد من التفاصيل أنظر (أ ٣٦-٣٧ / م ١٤٣) .

كما أنهما رجعا لمصادر بعينها ، من كتب التفاسير وكتب شُرَّاح الأحاديث النبوية ، مما يجعلنا نبرر سبب هذا التطابق في وجهات النظر ، وقد اعتمد كل منهما على تفاسير مثل : الكشاف للزمخشري ، وتفسير الطبري ، وتفسير المنار لمحمد رشيد ، ارجع إلى (أ ٤٢-٤٣ / م ٥٤) .

والملفت للنظر أن نقاط وجوانب الإشارة إلي مثل هذه المراجع والتفاسير واحدة أيضا ، ونعني بذلك نواحي قد التبس علي كل منهما فهم الفكرة ، وكان حولها خلاف أو غموض ، الأمر الذي كان يستوجب الرجوع إلى رأي يرجع اجتهاد كل من العقاد وعائشة ، ومن أهم هذه المعاني والموضوعات التي رجعوا إليها: الأمانة ، وخلق آدم ، ومعنى الروح ، والنفس ، وحرية الإرادة .

كما أن هناك جوانب للتشابه كثيرة بين الكاتبين ، نشير إليها إشارات سريعة ، من أهمها :

- أن الإنسان مفطور بالاستعداد للخير والشر (أ ٤٩ / م ١٨).
- أن الإنسان خلق ضعيفا ، وأنه خلق في أحسن تقويم، (أ ١٩ /م ١٧)
- الوسطية الآدمية ، بأنها ليست ملائكية أو إبليسية (أ ٣٣ / م ٢٨)
- رفض الإسلام الوساطة بين العبد وربه ، ولا كهنوتية في الإسلام ، (أ ٢٥ / م ٨٤).
- كما أن هناك تشابه في معظم الآيات الكريمة التي استشهد بها كل من الكاتبين ، وهذا مرجعه إلي وحدة الموضوع ، وتشابه قضايا الطبيعة الإنسانية ، والخلفية الإسلامية للكاتبين .

بعد هذا العرض الذي قدمناه لجوانب الاتفاق والتشابه ، يطيب لنا أن نقدم أهم جوانب التباعد والاختلاف ، .من خلال ذلك سوف يظهر لنا الجديد من الأفكار التي قدمها كل كاتب .

رابعا : نقاط التباين

نبدأ في هذا الجزء بعرض وجهات النظر المختلفة ، لكل من العقاد وعائشة ، تجاه الموضوع الواحد ، ثم بعد ذلك نعرض الجوانب التي انفرد بها كل منهما على حدة ، لنتبين الجديد الذي أضافه كل منهما باجتهاده .

(النبوة)

قد أشار العقاد دون إفاضة إلي النبوة ، وبيّن أنها ليست كما كان يفهمها الناس من قبل البعثة المحمدية ، على أنها استطلاع للغيب ، أو وساطة بين العبد وربه ، بل هي نبوة مبشرة ومنذرة ، لا تملك لهم نفعا ولا ضرا (أ ٢٦ و ٣٠). ولكن عائشة ترى أنها اختصاص الإنسان بالبيان ، يرتبط بهذه المعجزة البيانية للنبي العربي ، وبها ساير الدين تطور البشرية .. فكانت معجزة خاتم الأنبياء هذا البيان الذي يخاطب الحس المرهف والضمير الحي .. معجزة نبي أمي من البشر ، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق" (م ٤٦).

(وحدة بني الإنسان)

يرى العقاد أن "وحدة بني الإنسان" تتجلى في أنه ابن ذكر وأنثى وإن تعددت الأجناس واللغات ، ولكنهم قبل هذا الاختلاف أمة واحدة لها إله واحد هو رب العالمين (أ ٦٠) ، ويضيف بقوله: "وإن هذه

الوحدة في صلة الإنسان بالإنسان ، مشدودة الأزر بالوحدة بين الناس كافة من الصلة بالله .. إن العالم الإنساني كلمة غير مفهومة عند من يدين برب غير رب العالمين" (أ ٦١-٦٢) كما يقول: "إن القرآن يعطي القرن العشرين إنسانه الذي ليس من إنسان أخص منه وأصلح لزمانه ، فإذا آمن هذا الإنسان بالله وبالنبوة ، فليس أصح ولا أصلح لعصر الوحدة الإنسانية من الإيمان برب واحد للعالمين، وبنبوة تختم النبوات .." (أ ٢١٢-٢١٣). فهو يرى أن في الاختلاف قوة وتعدد الشعوب يدعو إلى "إحكام صلة التعاون والتعارف بينها وتعريف الإنسانية كلها بأسرار خالقها .. وإستخراج كنوز الأرض ، واستنباط أدوات الصناعة ، على حسب المواقع والأزمنة ، وعلى حسب الملكات والعادات التي تتفتق عنها ضرورات العيش والذود عن الحياة" (أ ٦٠) . وفحوى دعوته هذه هو أن العالم اليوم يجب أن يتوحد كله تحت راية الإسلام .

إما عائشة فتسميها "الوحدة الجامعة" وتقول: "وننظر في موقف الإسلام من الأديان السماوية قبله فنراه لا يكتفي بالاعتراف لمعتقديه بحرية التدين ، بل يلزم المسلمين كذلك الإقرار بنوبة كل الرسل.. تلك الغاية التي رنا كتاب الإسلام إليها ، هي الوحدة الجامعة تلتقي فيها الإنسانية المتدينة على الإيمان بالله ، لا نفرق بين أحد من رسله" (م ٨٠). وهي تضيف بأن الإسلام قرر وحدة الأديان فتقول بالنص "ذلك حين قرر وحدة الأديان بوحدة مصدرها وغايتها ، فالذي تلقاه خاتم الرسل هو في جوهره ما تلقاه الرسل من قبله" (م ٨٠-٨١)، ونحن نخشى أن يكون هذا القول الحق يراد به باطل عند أنصار الماسونية ، الذين يرددون فحوى هذا القول ، لتذوب القوارق بين الأديان في العصر الحاضر ، ونحن نعلم أن كتاب الله الحق والذي لم يمس بسوء ، هو

القرآن الكريم ، والذي دعاني للإشارة إلى هذه النقطة قول عائشة " بمثل ذلك الإصرار أكد الإسلام أن الحقيقة في الأديان واحدة يمكن أن يلتقي عندها المتدينون جميعا فوق أحقاد التعصب وفواصل الخلاف" (م ٨٢).

ومن ثم يتضح الفرق بين وجهتي نظر كل من العقاد وعائشة حول نقطة "الوحدة الجامعة" ، فالأول يرى أن التوحد يجب أن يكون تحت لواء الدين الإسلامي وذكر هذا مباشرة . أما عائشة ، فتقول بأن نأخذ بجوهر وحقيقة ما جاءت به الأديان ، دون الدخول في الخلافات الفرعية بحيث يبقى كل واحد على دينه . وبالطبع الفرق كبير ، فيجب أن يكون التوحد والاندماج تحت راية الإسلام ولا يمكن أن يكون هناك ذوبان للفروق بين الأديان فسوف تظل أسس العقيدة مختلفة .

(خلقكم أطوارا)

وعند تفسير "خلقكم أطوارا" يقول العقاد: "إن ذلك قد يعني أن حالة الترقي للإنسان ، في أحسن تقويم ، ثم حالة التدني ، إلي أسفل سافلين ، هي أطوار النمو ، : الطفولة فالشباب ثم الكهولة ، " وهو الاستعداد الذي يجعله أهلا للترقي إلى أحسن تقويم ، وأهلا للتدهور إلي أسفل سافلين .. وهذا المخلوق يوصف بالظلم والكفر والطغيان والفجور ، لأنه دون غيره أهل للإيمان والعدل والرجحان والعفاف" (أ ٢٠-٢١). ومن ثم هذه أطوار لحالات يمر بها الإنسان .

أما عائشة فترى أن خلق آدم طور ثاني سبقه طور خلق الملائكة فتقول : ".. وكذلك لا يأذن الدين أن نقول فيها بأكثر مما تلاه علينا

كـتـاب ديننا ، منه نعـرف أن الملائكة طور سـابق على خلق آدم " (م ٢٦-٢٧).

(العقل والذات الإنسانية)

وعند الحديث عن "العقل" نجد العقاد يركز عليه كثيرا ويؤكد أن القرآن الكريم قد خاطب العقل فيقول : "هو الكتاب الذي امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته ، وكل وظيفة عرفها له العقلاء والمتعقلون ، والعقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف ، والعقل فهم وفكر ويتقلب في وجوه الأشياء وفي بواطن الأمور ، والعقل رشد يميز بين الهداية والضلال ، والعقل روية وتدبر ، العقل بصيرة تنفذ وراء الأبصار ، والعقل ذكرى يأخذ من الماضي للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون ، وتحفظ وتعي وتبدئ وتعيد ، والعقل بكل هذه المعاني موصول بكل حجة من حجج التكليف ، وكل أمر بمعروف ، وكل نهي عن محظور .. أفلا يعقلون؟ أفلا يتفكرون ؟ أفلا يبصرون؟ أفلا يتدبرون؟ أليس منكم رجل رشيد؟ أفلا يتذكرون؟ " (أ ٢٤).

كما يري أن قيام النبوة على اقناع العقل المسئول بآيات الكون ، قد اختتم سلطان الأحبار ، والقادة كما اختتم سلطان النبوات بالمعجزات وخوارق العادات ، فلا يعذر الإسلام إنسانا يعطل عقله ، (أ ٢٨). وهنا يضع العقاد العقل وسط بين الروح والنفس ، فيقول : "الإنسان يعلو على نفسه بعقله ، ويعلو على عقله بروحه ، فيتصل من جانب النفس بقوى الغرائز الحيوانية ودوافع الحياة الجسدية ، ويتصل من جانب الروح بعالم البقاء وسر الوجود الدائم وعلمه عند الله ، وحق العقل أن يدرك ما وسعه من جانبه المحدود ، ولكنه لا يدرك الحقيقة

كلها من جانبها المطلق إلا بإيمان وإلهام" (أ ٤١).

والذات الإنسانية أعم من النفس ومن العقل ومن الروح حين تذكر كل منهما على حدة ، فإن الإنسان يحاسب نفسه لينهاها عن هواها ، ولكن الروح من أمر الخالق الذي لا يعلم الإنسان منه إلا ما علمه الله ، ويتوسط العقل بين القوتين فهو وازع للغريزة، ومستلهم لهداية الروح" (أ ٤٠). ورغم أن العقاد -قبل أن يعرض هذه الأفكار - قد عرض الفكر اليوناني عامة ورأي أفلاطون خاصة ، إلا أنه انفرد برؤيته الخاصة ، ورتب مكونات الذات الإنسانية ترتيبا تصاعديا: النفس ، فالعقل ، ثم الروح .

ولا يفوتنا أن نقول بأن العقاد كان شموليا في نظرته للذات الإنسانية ، فلم يقصد بمكوناتها ، أنها جزيئات منفصلة ، بل نظر إليها على أنها كل "أكبر من مجموع أجزاءه" فيقول:"فجملة هذه القوى من النفس ، والعقل ، والروح هي الذات الإنسانية ، في حالة من حالاتها ، ولا تتعدد الذات الإنسانية بأية صورة من صور التعدد بأنها ذات نفس أو ذات عقل ، أو ذات روح ، فإنهما هي إنسان واحد في جميع هذه الحالات .." (أ ٣٨-٣٩).

أما حديث عائشة عن العقل ، رغم أنها أفردت له عنوان "حرية العقل والرأي" فلم تتطرق له كثيرا ولم تشر إلى وظائفه وكنهه واقتصر توضيحها للعقل "بأن الإسلام حرر عقل الإنسان وضميره ، إقرارا في حرية العقيدة واقتضاء لما حمل من أمانة إنسانيته" (م ٩٨) ، ومن ثم فهي تشير إلي أن "كتاب الإسلام قد رفع عن الإنسان إصر تلك الكهنوتية ، تقريرا لحرية عقديته وضميره وعقله ." (م ٨٥) ونجد أن في عرضها لحرية العقيدة ، وحرية الرأي ، وحق الجدل في الأمور

الدينية ، وما يتصل بها من مسائل عملية ، تقصد من ذلك كله : " أن المسلم الحق من لا يلغي عقله ، وأن يفكر فيما يسمع " (م ٩٨) ، وهي بذلك تريد أن تقول أن حريات الإنسان هي نتاج حرية عقله ، كما تري أن من تبعات التكليف وأمانة الإنسان أنه مختص بالعلم والبيان والعقل والتمييز. (م ١٥).

(الحرية)

عندما عُرضت قضية "الحرية الإنسانية" في كتاب العقاد ، جاءت مقرونة بأن أمانة التكليف تلزمها إرادة إنسانية حرة ، وما يريد أن يقوله العقاد مؤداه : أن الحرية المخلوقة حرية صحيحة كما ينبغي أن تكون في احتمال العقل المدرك المميز الذي يهتدي بإذن الله لما اختلفوا فيه ، ولا يقال أن الحرية التي تخلق ليست بحرية ، فإن الحرية غير القيد سواء كنا مخلوقين أو مطبوعين ، (أ ٥٣) ، فهو يؤمن بحرية عقل الإنسان وحرية إرادته ، وهذه الحريات بالطبع مقيدة وفق نواميس الخالق سبحانه وتعالي .

لكن عائشة تفرد صفحات وأبواب تشرح فيها بعمق وتفصيل أنواع الحريات " حرية الإنسان ،الحرية والرق ، حرية العقيدة ، حرية العقل والرأي ، حرية الإرادة" وسنعرض لأهم ما جاءت به في هذا المجال . فهي ترى أن من أهم حريات الإنسان ما يتميز به من "تفكير وجدل" (م ٢٨) . وأن الأمانة التي حملها الإنسان بمقتضى خلافته في الأرض ، وأن هذا الوضع لا يمكن أن يُفهم أو يُتصور ، إذا لم يقم على حق أصيل مقرر في الحرية الإنسانية. (م ٦٣) ، وتقسّم حريات الإنسان إلى : الحرية العامة ، وهي المناقضة للرق ، وتليها حرية الاعتقاد

وحرية والفكر ، ثم حرية الإرادة . ثم تتدارك الأمر فتقول بأن الحرية لا تتجزء ، وأن أي مساس بجانب منها عدوان على شرف الإنسان وتعطيل لمسئولية أمانته ، (م ٦٤).

ولقد أشارت بما قام به الإسلام من محاربته للرق وتصفيته ، وتؤمن بأن حق الحرية من الرق يتقرر أصلا ، بأن جوهر الدين كله هو عبادة الله وحده لا نشرك بعبادته أحدا (م ٦٧)، والإسلام نقض الرق أساسا ، بتحريم عبودية الإنسان لغير خالقه . فيما يتصل بالواقع الذي كان قائما ، سد الباب الذي يدخل منه الرق ، بالنص على التخيير في أسرى الحرب بين المن والفداء ، ثم عمد إلي تصفية الرقيق ، بإلزام بيت المال بتحرير الرقاب ، وتشريع فك الرقبة في الحالات الفردية ، كفارة عن عدد من الذنوب منصوص عليها في كتاب الإسلام . كما شرع المكاتبة ، منفذا آخر لتصفية الرق القائم ، فإذا رغب العبد إلى سيده في أن يحرره نظير مبلغ من المال يكتبه العبد على نفسه ، وجب شرعا أن يجاب إلى ما ابتغى (م ٧١-٧٢).

(سمات أخرى أضافتها عائشة)

ثم تتطرق عائشة إلى إضافة جديدة تتمثل في إسلوب الجدل في القرآن كدليل على حرية الفكر والعقل ، وهو من وسائل ترسيخ العقيدة ، كما ترى أن الجدل من صفات الطبيعة الإنسانية : " لقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا" (الكهف ٥٤) ، ومن حرية الاعتقاد ، أن يكون للإنسان حق السؤال حين تعزه طمأنينة القلب وهو حق أقره كتاب الإسلام ، (م ٩١) ، وتعرض موقف إبراهيم عليه السلام ، فقد جادل ربه في قوم لوط ،

استرحاما ، فلم يسخط عليه الله ، بل عذره في حلمه على القوم الفاسقين ، "فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ، إن إبراهيم لحليم أواه منيب" (هود ٧٤-٧٥) وموقفه كذلك حين أعوزته طمأنينة القلب إلى معرفة كيفية إحياء الله تعالى للموتى ، "وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال أولم تؤمن ، قال بلي ولكن ليطمئن قلبي" (البقرة ٢٦٠) ، ولم يغضب سبحانه على إبراهيم ، وفي جواب إبراهيم اعتراف صريح بأن قلبه لم يكن مطمئنا ، ولم يكتم في نفسه ما خامره من قلق ، بل طلب الرؤية والمشاهدة التماسا لطمأنينة القلب، (م ٩٢).

وترى عائشة بأن **الجدل** صفة من صفات الإنسان "إن الإنسان من شأنه منذ كان ، أن يكثر الجدل ، فكأن كثرة الجدل ظاهرة إنسانية من تلك الخواص التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات" (م ٩٤). وقدر الإسلام طبيعة الإنسان التي تختلف عن طبيعة الملائكة وبقية الكائنات ، فلم ينكر عليه الجدال إلا أن يكون مماراة فاحشة في الحق الجلي والآيات البينات ، عن عناد ومكابرة ، أو عن إصرار على الجهل والضلال.

ثم لا يفوت عائشة أن تذكر مواقف بنات جنسها ، في مواقف الجدل في الحق ، فتذكر موقفين لإمرأتين : الأولى جادلت "عمر" والثانية جادلت الرسول عليه السلام ، فعمر قد أصغى إلي من جادلته بالمسجد على مسمع من المسلمين فيما نهى عنه من المغالاة في مهور النساء ، فيما أعلن من قراره أن يأخذ مازاد على خمسة وعشرين درهما فيرده على بيت المال ، قال مؤرخوه : فخرجت إليه من صف النساء إمرأة تقول بأعلى صوتها : ليس لك هذا ياعمر ، فلم يزجرها ،

بل وقف فسألها : ولم ؟ قالت : لأن الله تعالى يقول: "وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا" (النساء ٢٠)، فرجع أمير المؤمنين إلى المنبر وقال كلمته المشهورة : "أصابت امرأة وأخطأ عمر" (م ٩٨) . كذلك جادلت امرأة مسلمة رسول الله عليه السلام ، في زوجها حين ظاهر منها ، فلما لم تجد لدى الرسول ما يفرج كربتها اشتكت إلى الله ، ونزلت فيها آيات المجادلة (١-٢) ، ومن ثم يتضح لنا أن عائشة تريد توضيح مكانة المرأة ، ودورها في قضايا الإسلام .

ومما يدل على أن عائشة تميل إلي إنصاف أفراد جنسها ، إنها لم تنس أن تدافع عما قيل عن حواء بأنها كانت السبب في خروج آدم من الجنة ، وكذلك تأكيدها علي أن حواء لم تخلق من ضلع أعوج ، مؤكدة أنه ليس في القرآن الكريم آية واحدة تشير إلى ذلك ، إنما تشير الآيات إلى أنها زوجه ، خلقهما الله من نفس واحدة وخلق منها زوجها . "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا " (النساء ١) كما أكد القرآن ذلك في آيات أخرى بينات من سور الأنعام والأعراف والزمر.

وتشرح عائشة حكاية الضلع هذه ، في حديث مروي عن الرسول عليه السلام ، يشبه فيه المرأة بضلع أعوج ، إن حاولت تقويمه بالشدة والعنف كسرته ، وتقول عائشة : "ولقد فهموا هذا الحديث فهما حرفيا ، مع أن الضلع فيه من التعبير المجازي الذي نعرفه في أسلوب البيان العربي" ، وتضيف ، "وإذا صح الحديث عن الرسول فليس القصد منه تحديد أصل الخلقة ، وإما هي وصية من نبي الإسلام بالترفق بالمرأة

والتحذير من أخذها بالشدة ، مثلة مثل قوله عليه السلام ، "رفقا بالقوارير" وتتساءل عائشة ، فهل خلقت النساء من قوارير ؟ (م ٣٤).

وتشير كذلك إلي القصة الذائعة التي تستهل فيها حواء الأولى حياتها بالغواية والإغراء ، وأداة طيعة لإبليس ووسيلته إلى التسلط على آدم وإغرائه بعصيان خالقة والأكل من الشجرة المحرمة فتقول "ليس في كتاب الإسلام إشارة ما إلى أن إبليس بدأ بإغواء حواء فأغوت زوجها بالأكل من الشجرة المحرمة ، فاخرجته من الجنة ، وإنما الذي في القرآن الكريم ، ان آدم هو الذي نسى وغوى ، وأن إبليس تعرض له مباشرة بالوسوسة والإغواء دون أن يسلط عليه حواء ، فكان دوره مقصور على مشاركتها زوجها في الأكل من الشجرة المحرمة ، فأزلهما الشيطان عن الجنة، (م ٣٤) وتستشهد بالآية الكريمة "..فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى" (طه ١١٥-١٢٢).

وتتطرق عائشة لفكرتي "**الموت**" و "**الأحلام**" وهاتان الفكرتان جديدتان ، جاءت بهما نتيجة تجربتها الذاتية ومشاعرها الصادقة تجاه فقدانها لزوجها "أمين الخولي" حيث تفسر هاتين الفكرتين بأن لهما نفس الوظيفة ، والغرض منهما هو لقاء الأحباب في يوم الدين، أو اللقاء بهم في عالم اللاشعور ، وسوف نوضح فكرتيها فيما يلي:

ترى عائشة أن الإسلام قدم فكرة الحياة بعد الموت ، كي يطمئن قلب الإنسان إلى تحقيق أمل في حياة أخرى تجعل لنضاله في الدنيا قيمة ومعنى (م ١٢٨) ثم تأتي إلى قولها "واستراح المؤمن بالدين إلى

رفض فكرة العدم التي تجعل وجوده في الدنيا عبثا عقيما ومحنة لا تطاق ، كما جعل هموم رحلته الدنيوية عبثا باهظا لا يحتمل ، وتشد بصره ووجدانه وفكره إلي الحفرة التي تنتظره في نهاية المطاف .. وعلى الأمل الموعود في اللقاء بالـ سالم الآخر ، هان على الأحياء منا أن يودعوا أحبابهم في الحفرة الموحشة ، وأن يطيقوا بعدهم محنة العيش إلى أن يحين الأجل المحتوم فيلتئم الشمل الممزق ولولا هذا الرجاء لألقى بهم اليأس في جحيم من العذاب لا نجاة منه إلا بالفرار إلى الموت" (م ١٢٣).

كما لاحظت عائشة في سياق آيات التذكير بالموت ، أن القرآن الكريم يعمد إلى التهوين من شأن الحياة الدنيا ، كيلا يغتر بها الإنسان فيطغى ويضل طريقه إلى الحق والخير .. وأن القرآن لا يشق على الإنسانية بالتزهيد في الدنيا والتذكير بفنائها ، لكي ترفضها يأسا منها ، وإنما يرى للإنسانية أن تأخذ من حتمية الموت عبرة تحميها من الأثرة والشر والتهالك على المتاع الدنيوي الزائل" (م ١٣٦-١٣٧).

وعن **الأحلام** تقول : "وإنما الرؤيا في دنيانا حقيقة لا تجحد ، وأنا أعنى بها ما يحدث حقا من لقائنا بموتانا" ، (م ١٥٤) ، وترى أن الأحلام لا تعطيها تفسيرا مقنعا لطاقة رؤانا على بث الحياة في شخوص من أودعناهم جوف الثرى ، فتقول: "فنحن نراهم على العهد بهم ، في عز نظرتهم وحيوتهم ولم ترهقهم غبرة من موت ، ونبادلهم الحديث والنجوى دون أن نحس في أصواتهم أثرا من إعياء أو فتور .. وفي وعي اليقظة ، تأخذنا الحيرة والدهشة تجاه هذا السر العجيب ، الذي يلغي ما بيننا وبينهم من أبعاد تفوق الظن والخيال .. لكن رؤانا

، ولا أقول أحلامنا ، تنقل إلى سمعنا وبصرنا بغمضة عين ، أصواتا أخرسها الموت وأجساما عاث فيها البلى " (م ١٥٦-١٥٧).

ثم تتحدث عن **تحضير الأرواح** ، وتقول: "والذي وصلت إليه بحوث تحضير الأرواح لا يخرج عن كونه ظواهر ، ولست أرى فرقا ذا بال بين استحضار روح عالم الموتى بتعطيل الإدراك الحسي للوسيط وإسقاطه في غيبوبة اللاوعي ، وبين ما تمنحنا رؤانا ، دون أي وسيط ، من إحضار لشخوص أحبابنا الراحلين ، في غيبة من وعي اليقظة ولإدراك الحسي" (م ١٦٠-١٦١).

ومن هنا نعلم أن تجربة عائشة كانت صادقة فيها معاناة ، من حيث حبها لزوجها وألمها لفقدانه ، جعلها تضع تأويلات واجتهادات في الفروق اللفظية بين "الأحلام" باعتبارها من هواجس الوهم (م ١٥٥) ، أما "الرؤيا" فهي دلالة على الوضوح والتميز ، وعلى صدق الإلهام ، وفي ختام ذلك تقول: "وإذا كان في بني الإنسان من لاذوا براحة الاطمئنان إلي وعد لقاءهم بأحبابهم في الحياة الآخرة ، والتمسوا من رؤياهم بعض العون على احتمال وطأة الانتظار ، فإن منهم من ثقلت عليهم مأساة الإنسان ، فرفضوا الحياة والتمسوا لدى الموت احدى الراحتين" (م ١٥٧). وكأنها تريد أن تلخص الفكرة بأن الرؤيا والموت ، من أهم وظائفهما ، لقاء المحبوب بعد رحيله من عالمنا الدنيوي إلى دار الآخرة ، سواء كانت الرؤيا لقاء في حياتنا مع من فقدناهم ، أو الموت الذي يجعلنا نلقاهم في عالم الآخرة.

وبعد أن ذكرنا نقاط التباين ، نقدم في الفصل التالي الأسلوب والمنهج والهدف الذي من أجله كتب كلاً منهما كتابه.

خامسا: المنهج والأسلوب في ضوء هدفي الكتابين

نعني بالمنهج ، الجانب الفكري في طريقة عرض وتفسير الطبيعة الإنسانية، والمنحى الذي انتهجه الكاتب في تقديم فكرته. أما الأسلوب فنقصد به طريقة عرض الأفكار والألفاظ المستخدمة ، ومستوى الوضوح للمعنى ودرجة الصعوبة في فهمه ، ومن ثم نبدأ بالعقاد.

منهج وأسلوب العقاد :

نلاحظ أن العقاد ، كعادته ، له أسلوبه المميز ، وعرضه الذي يمتاز بنوع من الخصوصية في اختيار قرائه ، فأسلوبه الرفيع الذي يتعالى به على العامة من القراء ، يجعلنا نضعه في صفوف المفكر الفيلسوف ، والمتمكن من أصول اللغة ، وبطريقته هذه جعلته أيضا يزيد الأمر صعوبة ، حين يختار كلمات غامضة أو يذكر كلمات غير مألوفة ، فمثلا يقول: "..بل في تاريخ الإنسانية من مطلعها في ظلمات الماضي المجهول إلى هذا الأوج السامق .." (أ ٦١)، ويقول أيضا: "..بما طاب لهم من ألوان التبعات هي موضع الرجحان للعالم على الجاهل ، وللرشيد على القاصر ، وللذكي على الغبي ، وللقادر على العاجز ، وللمهذب على الفدم ، وللمجدود على المحروم ، وللغني على الفقير" (أ ٦٣). وفي موضع آخر يقول: "فإن العالم يفضل الجاهل بالعلم ولا مراء ، ولكنه قد يؤب مفضولا عند المقابلة.." (أ ٦٤)، وهكذا.

ولكنه كان في مواضع قليلة يحاول أن يرتفع بخيال القارئ فيقدم بعض الأساليب البلاغية ، والمحسنات اللفظية ، ومنها على سبيل المثال: "..وسبيلها جميعا أن تهتدي إلى قبلة واحدة تنظر إليها فتمضي قدما ، أو تفقد ها في الأفق فهي أشلاء ، ممزقة كأنها أشلاء الجسم المشدود بين مفارق الطرق" (أ ١١-١٢). كما يتابع بكلمات مسجوعة حديثه فيقول "وسمعوا أنه إنسانان .. إنسان صحيح مقبول ، وإنسان زائف مدخول .. صحيح مقبول كل من اجتباه مولاه على هواه ، وزائف مدخول كل من خلقه ونفاه ، ولعله لم يخلقه ودعاه إليه من دعاه" (أ ١٣).

وبوجه عام نقول أن الأسلوب الفلسفي التحليلي هو أداة العقاد في الكتابة ، ولنأخذ بعض النماذج. حين يقول: "إن العقل ليعلم اليوم أن ذرات التراب وذرات الضياء من معدن واحد ، وأن الحجر اليابس يتفتت ، فإذا هو شعاع ، وأن الشعاع المطلق يتعقد ويتقابل فإذا هو حجر ، وأن الفيصل بين ضياء الفلك وضياء العقل قائم لا شك فيه ، ولكن لا شك كذلك في خفاء هذا الأمر على العلم كخفائه على الإيمان " (أ ٣٤-٣٥) .

وحين يقول: "فالعقل والروح والنفس قوى حية على هذا الترتيب من الشرف والصفاء ، والإنسان له نصيبه من العقل ، ولكنه دون العقل الفعال في جوهره وتنزهه عن المادة الهيولي ، وله روح يعلو به عن سائر الموجودات ، ونفس قد يقترب بها من الكائنات التي تنمو وتلد وتريد على درجات" (أ ٣٧). ويمضي في أسلوبه الفلسفي فيقول : "وليس في العقل شيء يسمى حرية مطبوعة ، تعلو على الحرية المخلوقة بالإنطلاق من جميع القيود .. لأن الإنطلاق من جميع القيود غير

معقول وغير موجود ، وإذا وجدت للمخلوقات العاقلة حرية أو وجدت لها إرادة فلنرجع إلى العقل ، انرى كيف يتصورها العقل - أي عقل - وكيف تكون على احتمال واحد دون كل احتمال .." (أ ٥٣).

وفي مناسبة أخرى يقول: ".. فالموجود الذي يصح أن نؤمن به ، هو موجود كامل أبدي ليست له حدود ، والموجود الذي ليست له حدود لا يحيط به إدراك العقل المحدود ، فما النتيجة اللازمة لهذه الحقيقة التي لا شك فيها هي أحدى أثنتين .. إما إنكار جزاف ، وإما تسليم بحقيقة تفوق إدراك المعقول ، والإنكار الجزاف يوقع العقل في نقيضين ، وهو تعطيل للعقل أضل له من كل تعطيل ، والانكار معناه أن سبب الإيمان الوحيد ، يكون هو السبب الوحيد للإنكار.." (أ ٥٥). وهكذا نرى أن العقاد يتكلم مع فيلسوف مثله ، فأسلوب العقاد ليس بالسهل، بل يحتاج من قارئه التروي والتمحيص ، وإعمال العقل للوصول إلى ما يريده العقاد من قوله. واقرأ معي هذا " فإذا سمي ختام النبوة باسمه الحق في تاريخ الإنسان ، فاسمه الحق أنه هو فاتحة عهد الرشد في حياة الإنسانية الخالدة ، قبل عهد الرشد الذي أخرجته القرون الوسطى بسبعة قرون ، ومن عبث الجهالة ، أن يفهم هذا الميقات الجليل فهم العقول الصغار ، فلا يعطى حقه من الفهم ولا حقه من التقديس ، وتسمع من يفسره في عصر العلم فلا يفهم منه إلا أنه (حكر) الأثرة يغلقه النبي علي من بعده ، ويسيغ هذا السخف وهو صورة لا تقبل التصور عن هذا النبي ، كيفما تصوره الناظر إليه على حقيقته أو على دعواه ، فهذا (الحكر) صنيع لا يصنعه نبي أمر أتباعه بتصديق الأنبياء من قبله ، وجهد جهده لينفي سلطان الغيب عن نفسه ، ويطرد سمعة المعجزة عن دعوته ، وهي طيعة منقادة بين يديه ، فإن جاز في حقه هذا الحكر المغتصب فهل يجوز في حقه أن يغتصبه من الله وأن يأمن تكذيب الله إياه ، وقدرته على اختلاف دعواه؟ (أ ٢٩) . ومن ثم يتضح أن العقاد

استخدم النهج الفلسفي في عرض فكرته وتفسيره للطبيعة الإنسانية.

كان العقاد من خلال عرضه ، في الكتاب ، لا يحاول الخروج عن الفكرة التي طرحها ولم يستطرد بالدخول في قضية فرعية ، (كما فعلت عائشة في عرضها لقضايا فرعية بشأن ما قيل عن حواء بأنها سبب خروج آدم من الجنة ، وكذلك قضية ، أنها خُلقت من ضلع أعوج) بل كان العقاد في عرضه موجزا ، واستشهاده بالآيات محدود دون أن يعدد الآيات التي تؤدي نفس المعنى أو يحصيها ، ولذلك كانت الآيات لم تتجاوز (٩٧) موضع للاستشهاد ، يشمل نحو (١١٥) آية ، ويلاحظ أن هناك كم كبير من الآيات كان يذكرها مرات ومرات - أي تكرر ذكر نفس الآية - أنظر مثلا صفحات (١٧ ، ٢١٧) ، (٣٥ ، ٣٧) .

وقد اجتهد العقاد في النظرة إلى الطبيعة الإنسانية ، محاولا فهمها من خلال القرآن الكريم ونصوصه ، فكان يعرض رأي المفسرين في نقاط الخلاف ، ثم يجتهد في الأخذ برأيه ، حيث كان يذهب فيما وراء المعنى الظاهري للآيات ، فمثلا في تفسير الآية الكريمة "لقد خلقنا الإنسان في أحسَنَ تقويم ثم رددناه أسفل سافلين" (التين ٤-٥) ، فيقول "فنقرأ في بعض التفاسير أن أسفل سافلين هو أرذل العمر وهو يقتضي أن يكون "أحسن تقويم" هو الطفل الوليد ، ونقرأ في غيرها أن أسفل سافلين هو الجحيم ، فيكون لزاما أن الجنة هي المقصودة بأحسن تقويم .. وإنما المعني الموافق لسائر معاني الآيات ، أن الجمع بين النقيضين في الإنسان ينصرف إلى وصف واحد ، وهو وصف الاستعداد الذي يجعله أهلا للترقي إلى أحسن تقويم ، وأهلا للتدهور إلى أسفل سافلين" (أ ٢٠-٢١). بمعنى أن الطبيعة الإنسانية مرنة.

ولهذا كان اعتماد العقاد على القرآن كأساس في محاولة فهمه للإنسان ، ولم يذكر أي دراسات سابقة أو بحوث ، ناقشت الطبيعة الإنسانية ، بل كانت كل إشاراته إلى كتب المفسرين .

وأقول بكل اطمئنان ، أن العقاد كان إلى درجة ما ، قارئا جيدا لعلم النفس ، ولهذا كانت له تلميحات نذكرها -بالاضافة إلى ما ذكرناه في إشارته بمرونة الطبيعة الإنسانية - منها :

أولا: قد تكررت كلمة "ملكات" أكثر من أربع مرات في صفحات متعددة (٢٤ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ٦٠) ويعني بها "القدرات العقلية" بمفهومها الحديث . فيقول : "..بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته" (أ ٢٤). و يقول "وبين خطاب للعقل والفكر ، وتذكرة بالرشد والبصر وسائر ملكات التمييز .." (أ ٢٥). ويضيف "وعلى هذا النحو تكلم الناس عن ملكات العقل والنفس والروح" (أ ٣٩). ويكرر ".. على حسب المواقع والأزمنة ، وعلى حسب الملكات والعادات" (أ ٦٠).

ثانيا: قد أشار إلى ما قال به علماء النفس من تقسيماتها (خاصة فرويد) ولكنه لم يذكر اسمه ، فيقول "وقد ذكرت النفس في القرآن بجميع قواها التي يدرسها اليوم علماء النفس المتخصصون لهذه الدراسات في موضوعاتها الحديثة ، فقوة الدوافع الغريزية تقابل النفس الأمارة بالسوء ، وقوة النفس الواعية تقابل النفس الملهمة ، وقوة الضمير تقابل النفس اللوامة.." (أ ٣٩) .

ثالثا: قد استخدم العقاد عبارات علماء النفس ومصطلحاتهم ، وذكر اسم النفس بالأجنبية ، فيقول "فمنهم من كاد يجعل السلالة الآرية نوعا سيكولوجيا يضارع النوع البيولوجي في الاختلاف وفي قابلية التفاهم والتعامل وتناسل العواطف والأفكار" (أ ٥٨). من كل

هذه الأمثلة نخرج بنتيجة مؤداها أن العقاد عرض فكرته عن الطبيعة الإنسانية وقد حملت في طياتها مسحة نفسية ، جاءت من قراءات العقاد الموسوعية ، فكان يربط الأفكار بما قال به العلم ، وكان موفقا في عرض الطبيعة الإنسانية من خلال هذا المدخل ، وخاصة علم النفس الوثيق الصلة بالطبيعة الإنسانية والذي قد يساعدنا كثيرا على فهمها.

ولكن في هذا الميدان كانت عائشة محدودة الاطلاع ، فنجد أنها عندما تعرضت إلى فكرة الأحلام ، كان عليها أن تشير إلى ما قاله علماء النفس ، ولكنها ذكرت "ثم أني في الواقع لا أدري ما إذا كان النفسيون يفرقون بين الأحلام والرؤى ، أم أنهم يأخذون فيها بالدلالة المعجمية التي تفسر الحلم بالرؤيا ، فكأنها تقول بترادفها؟" (م ١٥٥).

وجدير بالذكر أن العقاد كان مقتصرا ، إلى درجة جعلته لا يدخل في جدل قد حسمه القرآن الكريم ، ولهذا لم يضف أو يزيد شيئا على فهم "الروح" وما تعنيه هذه الكلمة ، فيكتفي بالقول عنها: "كما ذكرت في الكتاب المبين قد نتبين أن الروح هو أقربها إلى الحياة الباقية ، وأخفاها عن المدارك الحسية ، وأنه الجانب الذي استأثر الله بعلمه واحتجب عن أنبيائه ، لأنه سر الوجود المطلق ، لا قدرة للعقل الإنساني المحدود على الإحاطة به ووعيه إلا بما يناسبه من الإشارة والتقريب" (أ ٣٧) ثم يستشهد بالآية الكريمة "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" (الإسراء ٨٥). ويكرر ذلك حين يقول "ولكن الروح من أمر الخالق الذي لا يعلم الإنسان منه إلا ما علمه الله" (أ ٤٠).

وعندما شرح العقاد الذات الإنسانية ، وقدم لها بعرضه لما قاله

فلاسفة اليونان ، نراه إلى درجة ما قد تأثر بتأويلاتهم ، فما قاله يقترب من ذلك عندما يذكر "فالراجح أن النفس أقربهما إلى الطبع أو القوة الحيوية التي تشمل الإرادة كما تشمل الغريزة .. وتعمل وتريد ، مهتدية بالعقل.." (أ ٣٨) هذه الفكرة قريبة ، وليست متطابقة ، لما قال به أفلاطون ، فقد شبه النفس الإنسانية بعربة يجرها جوادان أحدهما جواد أصيل ، هو القلب ، وآخر شرير ، هو الشهوة ، أما الحوذي الذي يقود العربة ويتحكم فيها فهو حوذي ماهر ، هو العقل ، الذي يستطيع أن يمنع القلب من الاندفاع والتهور ، ويجبر الشهوة على السير في الطريق السليم.

كان العقاد في منحاه التفسيري ، ورؤيته للإنسان يتخذ موقفا وسطا ، وكان توفيقيا في فهمه للطبيعة البشرية . ولم يتطرف ليغالي في جانب منها على حساب الآخر ومن ثم نراه في مواضع عديدة يقول: "..أنه أهل للكمال والنقص بما فطر عليه من استعداد لكل منهما ، فهو أهل للخير والشر لأنه أهل للتكليف" (أ ١٧). وأيضا (أ ٣١-٣٢). كما يقول: "لا تناقض فيه بين روح وجسد ، ولا تنازع فيه بين دنيا وآخره ، ولا فصام فيه للذات الإنسانية يحار فيه العقل وتتمزق به أوصال الضمير .. فليس السعي في سبيل الدنيا ضلالا عن سبيل الآخرة، وليس في القرآن فصام بين روح وجسد أو انشقاق بين عقل ومادة ، أو انقطاع بين سماء وأرض .. أو بين ظاهر وباطن .. بل هي العقيدة على هداية واحدة تحسن بالروح كما تحسن بالجسد ، في غير إسراف ولا جور عن السبيل" (أ ٣٣-٣٤)

وفي ضوء الهدف الذي حدده العقاد في كتابه ، **(بأن يدرس قيمة الإنسان في القرآن الكريم ، وتوضيح ذلك أمام دعاوي النظريات**

والعقائد الإلحادية التي جاء بها القرن العشرين) فإن ذلك قد حققه العقاد بالبحث المتعمق في آي القرآن الكريم ، وأوضح لنا منزلة الإنسان وما منحه الله من فضل وسمات امتاز وسمى بها على الكائنات الآخرى ، ثم عرض نظرياتهم ، أمام تفسيره للطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم فكانت هناك البينة ، والدليل الفيصل بكل وضوح ، فقد وفّق العقاد بكل المقاييس رغم أنه كان مختصرا مُركزا ، حتى يبرز النواحي الهامة في الإنسان ، فجاء الجزء الأول من الكتاب مقتصرا على (٧١) صفحة وكأنه مقال في الإنسان .

وهنا نقول ، ليس هناك عمل يخلو من نقص أو سهو يأتي بسبب الطباعة أو عامل الزمن ، واقصد به أن العقاد كتب هذه الدراسة منذ ثلاثون عاما ، ولم تكن أسس البحث العلمي قد ترسخت ، مثل طريقة توثيق المراجع ، والآيات القرآنية ، فلم يلتزم الكاتب بتوثيقها وتخريجها ، فقد استشهد العقاد بكثير من الآيات دون أن يشير في واحدة منها إلى مصدرها في أي سورة ، أو يذكر رقم الآية١. واكتفت عملية الطباعة على أن توضع آي القرآن الكريم بين علامات تنصيص ، وكُتبت بالحروف الواضحة والكبيرة نسبيا وأكثر وضوحا ، ولكن "لا ينجي حرص من نقص" ، فقد تبين أن هناك أخطاء مطبعية في النصوص القرآنية نذكرها فيما يلي:

- في صفحة (٤٩): كتبت الآية الكريمة "وأن الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا.." (الإسراء ٩) وتصحيحا لذلك تحذف (وأن) التي جاءت في أول الآية .

-في صفحة (٥٠): كتبت الآية الكريمة "يهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

" (البقرة ٢١٣) . والصواب هو (فهدى) التي جاءت في أول الآية.

- في صفحة (٢١٤) نص الآية الكريمة "أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .." (الرعد ١٧) . وصحيح الآية هو (فأما) التي ذكرت في أول الآية.

وقد يرجع مثل ذلك الخطأ إلي أن معظم الآيات المذكورة ، لم تكتب كاملة ، فكانت عبارة عن أجزاء من آية ، فوقعت مثل هذه الأخطاء.

وتبقى ملحوظة جديدة بالذكر ، من حيث ترتيب عناوين الموضوعات التي تناولها **العقاد** . نجد أن عنوان "آدم" جاء في آخر الكتاب ، ص (٦٦) ، وكان بالأحرى أن يأتي في مقدمة الفصول الأولى ، ولكن يبدو أن العقاد يريد أن يجذب القارئ حتى يأتي إلي مسك الختام ، بقصة أول الخلق ، كنوع من التشويق ، الذي بدأه العقاد في أول حديثه ، حينما قدم لغزا فقال : "ما هو الذي يمشي على أربع في الصباح ، وعلى أثنين عند الظهيرة ، وعلى ثلاثة عند المساء" (أ ٩-١٠) وكان الغرض من هذا هو قوله أن الإنسان لغزا نريد أن نفهمه ، كما دار عند الأقدمين ، بأن الإنسان في أطوار عمره ، بين الطفل الذي يحبو على أربع ، والفتى الذي يعتدل على القدمين ، والكهل الذي يتحامل على عصاه ، وهذا حل اللغز .

أيضا هناك تداخل في المضمون تحت العناوين المختلفة لا تستطيع الفصل بينها ، فعلى سبيل المثال، العنوانين: "المخلوق المسئول" و "الكائن المكلف" ، نجد تكرار وتداخل في كثير من الأفكار

المتضمنة فيهما . وكذلك هنا إعادة وتداخل فيما قيل تحت عنوان "التكليف والحرية" وما عرضه العقاد في موضوع "الكائن المكلف".

منهج عائشة وأسلوبها:

أما عائشة فمن حيث منهجها في معالجة الطبيعة الإنسانية ، كما جاءت في القرآن الكريم ، فهي تقول: ".. إنما قصارى جهدي أن اتدبر آيات كتابنا الأكبر ، واصغي إلى إيحاء سياقها" (م ١٦). كان هذا هدفها ومنهجها الأوحد ، غير أنها أضافت إلى ذلك بإمكان رجوعها إلى كتب التفسير مع علمها أن بعضا منها فيه أشياء بعيدة عن الإسلام ، فتقول : "ولا أرجع في شيء مما أكتب إلى غير القرآن الكريم ، بعد استيعاب لما في كتب التفسير ، وكثير منه دخيل على جوهر الفكرة القرآنية الأصيلة ، من مدسوسات الإسرائيليات والمقحمات الأسطورية التي شابت فهمنا لكتاب ديننا وتركت أثرها الباقي في الفكر الإسلامي" (م ٢٦). فكأنها مازالت تركز على أن مرجعها الأساسي هو القرآن الكريم ، ولم تتطرق لأي حديث شريف ، تستشهد به ، أو تدعم فكرتها به ، وكان سبب ذلك حدود طاقتها كما قالت : "ولا يعني الاقتصار على القرآن الكريم أنني أغض من شأن التراث الكبير لأئمة السلف الصالح الذين ناضلوا عن حرية الإنسان ، وإنما الأمر كما قلت قصور مني عن استيعاب ذلك كله" (م ٦٣).

ولكننا نلاحظ أنها بجانب رجوعها إلى كتب المفسرين ، لفهم ما التبس عليها الأمر من نقاط الخلاف والجدل حول بعض الموضوعات مثل "الأمانة" أو " الإرادة الإنسانية" فإننا نجد أن عائشة تعرض كثيرا من البحوث الحديثة التي تناولت الطبيعة الإنسانية في القرآن ، وتتبنى

فكرتها ، ومثال ذلك ما عرضته من دراسة قام بها "د. محمد كامل حسين " عن قصة آدم ، وخلق الإنسان ، والمادة التي خُلق منها. (م ٢٥-٢٦).

كما قدمت رأي "ابن رشد" واستشهدت بنصوص له ، عن حرية الإرادة ، ثم تأخذ بفكرته (م ١٠١ و ١٠٣) ، كما أيدت ما كتبه "د. أبو العلا عفيفي" في بحثه "التأويلات العقلية والصوفية في الإسلام" وخاصة في موضوع المسألة الخلقية في الجبر الاختيار. (م ١٠٥). واقتباسها من "علي نصوح الطاهر " في كتابه "الروح الخالدة" عند استقرائه لأقوال الفلاسفة القدامي والمتأخرين ، في النفس (م ١٤٣). هذا بجانب الدراسة التي قام بها "أمين الخولي" عن صلة الإسلام بإصلاح المسيحية"، فقد اخذت منه أيضا (م ٨٥).

وهناك كثير من الإحالات ، والمراجع التي قرأت فيها ، ثم صاغت فكرتها٢.

من ثم لم يكن منهجها هو البحث في القرآن الكريم فقط ، بل رجعت إلى اجتهادات من سبقوها ، والجدير بالذكر أن العقاد كتب دراسته "الإنسان في القرآن" قبلها بنحو ثمان سنوات ، ولم تشر إلى رأي له ، أو تنوه أو تعلق على تفسيراته!!.

كما أن عائشة كانت تميل إلى حصر آيات القرآن الكريم كمّيا لتستشهد بأن غلبة الآيات المرجحة للحرية الإنسانية تفوق الآيات القائلة بجبرية الطبيعة الإنسانية ، فتقول "واتابع تدبر آيات القرآن في الإرادة ، فإجد فعلها مسندا إلى الله تعالي مذكورا ، أو مضمرا ، في نحو خمسين آية ، وإلى غيره من مخلوقاته في نحو تسعين" (م ١٠٨).

وهنا نتساءل، هل منهج تحليل المحتوى ، إذا جاز لنا القول بهذا المصطلح ، يصلح كأداة لتفسير الطبيعة الإنسانية الحرة من خلال مؤشر كثرة الآيات التي تدل علي ذلك؟ . مع ملاحظة أن عائشة قد استخدمت هذا المنهج في مواضع كثيرة ، نذكرها على النحو الذي جاء في الكتاب فتقول:

- "وبهذه الدلالة ورد لفظ البشر ، اسم جنس في خمسة وثلاثين موضعا من القرآن الكريم ، منها خمسة وعشرون موضعا في بشرية الرسل .. وثلاثة عشر موضعا.." (م ١١) .
- "فلفظ الناس ، يأتي في النص القرآني نحو مائتين وأربعين مرة ، بدلالة واضحة على اسم الجنس لهذه السلالة الآدمية" (م ١٣).
- "لفظ الإنس يأتي دائما مع الجن على وجه التقابل ، يطّرد ذلك ولا يختلف في كل الآيات التي ورد فيها ذكر الإنس وعددها ثماني عشرة آية" (م ١٤).
- "وقد ورد لفظ الإنسان في القرآن الكريم في خمسة وستين موضعا" (م ١٥).
- "وتأتي صيغة "بيان" في القرآن الكريم ثلاثة مرات.." (م ٤٥)
- "وقد وردت مادة حمل في القرآن الكريم في ثلاثة وستين موضعا ، منها سبعة عشر في حمل الأجنة.." (م ٥٤).
- "واستعمل القرآن الحمل نحو ست وعشرين مرة ، بمعناه المألوف" (م ٥٥).

- "وجاءت المادة في الحمل المعنوي ، في نحو عشرين موضعا" (م ٥٦).
- "جاءت مادة رغب في كتابه المحكم ثماني مرات ..نمضي في تتبع استعماله للإرادة ، فنجدها جاءت فيه في نحو ١٤٠ موضعا كلها بلا استثناء بصيغة الفعل الماضي أو المضارع فحسب" (م ١٠٧).
- "الروح تأتي فيه إحدى وعشرين مرة منها ما يعني أمين الوحي" (م ١٤٤).
- "أما النفس فتأتي في القرآن الكريم مفردة في مائة وست وعشرة آية ، وجمعا بصيغة نفوس مرتين ، وبصيغة أنفس مائة وثلاثا وخمسين مرة" (م ١٤٥).

وهكذا تنهج عائشة هذا النهج ، ولكنها ترد على التساؤل السابق بأن ترجيح الإرادة الحرة لمجرد ملحظ عددي نسجل به آيات الإرادة الإلهية ، نحو خمسين ، يقابلها نحو تسعين آية ، الإرادة فيها للمخلوقات ، يجعل عقيدتنا عصيّة ، وعُدنا نتخبط في المتاهة دون أن نصل إلى طمأنينة واقتناع" (م ١٠٩). ولكن هذا ما قالته بشأن قضية إرادة الإنسان ، من حيث كونها مخيرة أم مسيرة ، ولكنها لم تأخذ بهذا التحذير فيما أحصته من عدد الآيات التي ذكر فيها معاني وألفاظ كثيرة ، واستشهدت بها ، فإن مثل هذا المنهج "الحصر الكمي للألفاظ" جديد ، كمدخل لدراسة الطبيعة الإنسانية في القرآن ، وحيث أن عائشة متخصصة في اللغة العربية ، لجدها تُأوّل وتفسر في ضوء

ذلك . ويبقي شيء هام حيث أنها لم تشر إلي مرجعها الذي ساعدها في حصر وإحصاء عدد الآيات الكريمة وهو "المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم".

نلاحظ أن عائشة عندما تفسر معنى ، وتستشهد بآيات من القرآن الكريم ، وتسردها تباعا ، نجدها لا تربط كل آية بالتي تليها ، ولكنها تقدّم الآيات لتؤكد فكرتها ، وإن استدعى ذلك إلى ذكر كل الآيات التي تشير إلي نفس النقطة مهما بلغ عدد الآيات ، مع أن آية أو ثلاث قد تكفي . ومثال ذلك : في قولها بأن الإسلام رفض الكهنوتية ، إلي المدى الذي لا يغني فيه استغفار الرسول المصطفي للمشركين والمنافقين من قومه ، كما لم يغن استغفار إبراهيم الخليل لأبيه ، نجدها تسوق أكثر من ستة عشر شاهدا بأكثر من عشرين آية. (م ٨٦-٨٧).

ورغم أنها كثيرا ما كانت تلجأ إلى كتب التفاسير في بعض القضايا الجدلية ، فإنها في جوانب معينة ، التي تستدعي فيها المواضع عرض وجهات النظر الأخرى ، فنجدها لا تقدم شيء منها ، وتكتفي برأيها فقط ، وقد يوحي هذا للقارئ بأن أحدا من السابقين ، لا يوافقها في الرأي ، فتؤثر عرض القضية دون أي إشارة لما قد يدور حول هذه النقطة من وجهات نظر مختلفة . وهذا يظهر من خلال ما عرضته من تفسير للحديث النبوي الشريف الخاص بخلق حواء من ضلع أعوج (م ٣٤). كذلك ما قيل حول تأويل معنى قوله تعالي : "وقد خلقكم أطوارا"(نوح ١٤). لم تناقشة باستفاضة رغم أن هذه القضية هامة من حيث الجدل الدائر حولها من إيحاء ظاهري بفكرة التطور ، فاكتفت بقولها " أن آدم طور ثان بعد الملائكة" دون أن تعرض أصول

دليلها وتأويلها للمعنى الذي اجتهدت وجاءت به ، فكان أجدى بها أن تعرض وجهة النظر الأخرى (م ٢٧-٢٨) بجانب فكرها الجديد ، فقد قيل أن "أطوارا" جمع "طور" وهو الحال ، فطورا : نطفة ، وطورا علقة ، إلى تمام خلق الإنسان ، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه(قرة العينين على تفسير الجلالين ص ٧٦٨).

ولكنها عند ذكرها للآيات التي تتحدث عن النطفة ، والعلقة تشير إلى تأويل ذلك بأن كتاب الإسلام يذكر الإنسان بهوانه وضعفه ..كبحا لجماح غروره كيلا يتجاوز قدره فيطغى ويستكبر (م ١٦-١٧)

ومن عرضنا هذا لا نبتغي أن نقلل من قيمة الاجتهاد الذكي ، الذي يثري الفكر ويشحذ الذهن ، ولكن نقول أننا يجب أن نأخذ بعرض الآراء المختلفة ثم نذكر الرأي الجديد أو الأرجح حتى نترك القارئ يمارس حق الحكم والاختيار ، ويكوّن لديه رأيا قد يكون جديدا.

أيضا في منهجها ، الذي تسرد فيه الآيات وتحصيها ، نجدها عندما تنتقل من آية إلى أخرى لا تحاول أن تذكر ما أضافته الآية التالية لما سبقتها ، بحيث يكون لذكر هذه الآيات الكريمة ، وظيفة لجلاء الفكرة وبلورتها ، أو توضيح بُعد من أبعادها ، فمثلا عندما قدمت فكرة أن الإنسان في القرآن هو الذي يختص بالعلم (م ١٨) ، ذكرت الآية "علم الإنسان ما لم يعلم" (العلق ٥) ، ويختص بالبيان ، واستشهدت بقوله تعالى "الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان" (الرحمن ١-٤). فمن الأجدى هنا تقديم شرح لمفهوم العلم ، وما طبيعته ؟ وما سُبله في هذا ؟ وأي علم أفضل؟ وهل نتعلم كل العلوم؟ "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" (الإسراء ٨٥). ومن ثم كان الأفضل عرض وتفسير قوله تعالى "وعلم آدم الأسماء كلها" (البقرة

٣١). في هذا المقام ، بدلا من عرض هذه الآية في مكان آخر بعيد عن سياق الفكرة. (م ٣٥).

ورغم ما كتبته عائشة باستفاضة ، مما يدل على عمق الفكرة ، وثراء القريحة ، إلا أننا كنا نطمع في أن تضيف الكثير إلى ما قالته عن دور الإسلام في تصفية الرق ، وسد منابعه . فقد عرضت لذلك الجانب ، ولكن دون أن تشير إلى المعنى السامي وراء الآية الكريمة التي أوردتها في صفحة (٧٢) "وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم" (النور ٣٢). فهذه الآية الكريمة بها دعوة للزواج من الأيامي ، وهي من طرق تصفية الرق ، حيث أن الأبناء سوف يولدون أحرارا وفق أبيهم الحر ، أن الأمة لو تزوجها "عبد" لكانت ذريتهما من العبيد . ولكن عائشة لم تقل ذلك بل جاءت بالآية لتسعى لتوضيح معنى لغوي لفظي فتقول "فكأن القرآن قد تحاشى تخصيص "العبيد" للرقيق ، واستعمل في جمعهم صيغة "عباد" كما في آية النور ٣٢".

وهذا دليل يؤكد ما ذكرناه من قبل ، وهو أن تخصصها الأكاديمي جعلها تجري وراء اللفظ الظاهري للكلمة ، دون أن تبحث عن ما وراء المعاني القرآنية من مقاصد سامية، وهنا يحلو التأويل والاجتهاد ، ومن ثم يمكن أن يضيف الباحث إلي ذلك ، ما يؤكد المعني في الآية الكريمة السابقة ، قوله تعالى : "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم" (البقرة ٢٢١).

وفي ذلك يمكن القول بأن منهجها في التفسير منهج تحليلي ، للألفاظ المستخدمة ، من أجل الوصول إلى المعنى المقصود ، للكلمات

دون أن تسعى بصورة أكثر للبحث عن المغزى والهدف العام من وراء الآيات الكريمة ، فحصرت نفسها في الجزئيات ، وفي ذلك فصل للمعاني الكلية والأفكار العامة .

وسوف نعرض فيما يلي ما يبرهن على ذلك .

يمكن القول أن تفسير عائشة كان تفسيرا لغويا لمعاني الكلمات التي ذكرت في القرآن الكريم ، ودار حولها الجدل ، بشأن الإنسان وطبيعته فكانت عائشة تستجلي معنى الكلمة اللغوى لتبرهن على فكرة تميل إليها وترجحها ، ولكنها أفاضت في هذه الناحية كثيرا . وقد يكون منهجها هذا (التفسير البياني) قريب من طريقة "الزمخشري" في تفسير القرآن لغويا ، وشرح أصول الكلمات وفق قواعد النحو . فتقول في مواضع متفرقة : "وأول ما لفتني من أمر الإنسان في كتابنا الأكبر ، أنه يأتي فيه بدلالة خاصة تميزه عن ألفاظ أخرى يغلب على الظن أنها مرادفة له : كالبشر ، أو الناس أو الإنس" (م ١١) . وتضيف "ومن إختصاص آدم بعلم الأسماء كلها التي لم يكن للملائكة علم بها ، في سياق الاقناع بإيثاره بالخلافة في الأرض وأهليته لها . والاسماء قد تطلق على أعيان الأشخاص ، كما قد تطلق ويعني بها الدلالة على المسميات علامة مميزة لكل منها ، والعربية تستعمل الاسم والسمة بمعنى ، وتقول استمى الصائد ، إذا لبس اللباس الدال على الصيد ، وتوسمت فيه الشيء ، لمحت فيه علامته وسمته" (م ٣٧) .

وتذكر في موضع آخر "والسجود إذا كان لغير الله ، فليس معناه العبادة بالمصطلح الديني لمعنى السجود ، إنما هو الخضوع ، على

أصل الاستعمال اللغوي للمادة" (م ٤٠) . وتضيف أيضا "كما جاء المصدر بصيغة تبيان ، في سورة النحل ، مفعولا لأجل تنزيل الكتاب .. وكل استعمالات المادة (ب ي ن) بمختلف صيغها تدل دلالة صريحة على الوضوح والابانة" (م ٤٥) . وتزيد في هذا الأسلوب فتقول: "والواقع أن العربية في توسعها المجازي تسيغ أن تقول نطق الطير ، ونطق الحيوان ، ونطق الصخر والجماد ، بل قد نقول في اللوحة الفنية لرسام بارع صورة ناطقة .. لكن العربية لا تسيغ إسناد البيان ، بمفهومه الخاص ، إلى حيوان أعجم أو جماد ، ومن هنا كان اختيار لفظ (البيان) للمصطلح البلاغي من فن القول" (م ٤٦).

ثم تؤكد هذا الأسلوب المنهجي في فهم آيات القرآن بقولها: "والتزامي هذا المنهج يحملني على أن استبعد كذلك تأويل الإنسان في آية الأحزاب بالكافر أو المنافق ، فلا وجه إطلاقا لهذا التخصيص والبيان القرآني يقضي بأنه مطلق الإنسان ، على مألوف استعمال الكتاب المحكم للفظ الإنسان معرفا بأل لعموم جنسه" (م ٥٧).

وتستطرد عائشة في أسلوبها اللغوي أو البياني في تفسير القرآن فتقول :"والبيان القرآني ، حين يتحدث عن تحرير العبيد يذكر الرقاب بصيغة الجمع ، فمسئولية التحرير فيها على الجماعة وولي الأمر ، والعبء فيها على المال العام للمسلمين . أما حين يستعمل الرقبة بصيغة المفرد ، فهذه هي مسئولية الإنسان فردا ، إما احتمالا لأمانة إنسانيته واقتحاما للعقبة في سبيل تحقيق الوجود الحر ، وإما كفارة عن ذنب يطرد ذلك ولا يتخلف حيثما استعمل القرآن لفظ العبيد في الرقيق وهي الصيغة الخاصة بجمع عبد ، وإنما يأتي لفظ العبيد للمخلوقين (وما ربك بظلام للعبيد . "آل عمران ١٨٢") .. (م ٧٢).

ونفس الطريقة تعرض فكرتها فتقول: "والجدل في العربية من صيغ المفاعلة ، والأصل اللغوي للمادة في استعمالاتها الحسية المادية ، فيه معنى الصلابة ، يقال جدل فلانا إذا صرعه ، والجدل :عنف الخصومة في المناقشة ، وأكثر ما يستعمل الجدل والمجادلة في صراع الآراء والأفكار حيث يحاول كل مجادل أن يحكم رأيه ويناضل عنه في صلابة . وفي القرآن الكريم ، لم يجيء من المادة إلا الفعل رباعيا "جدال" خمسا وعشرين مرة . وجاء المصدر منه مرتين بصيغة جدل ، وآخرين بصيغة جدال ، ومرة بصيغة مجادلة . والغالب عليها جميعا أنها في سياق الجدل الديني" (م ٩٤) . وتكرر ذلك لتوضيح معنى العزم فتقول: "وكذلك الأمر في العزم لم يأت قط مضافا أو مسندا إلى الله ، ولا وُصفَ سبحانه بأنه ذو عزم ، وإنما العزم في كتاب الله لعباده ، بصيغة الفعل أو بصيغة المصدر" (م ١٠٧).

وهكذا تستمر عائشة في طريقة التفسير البياني للقرآن الكريم ، وهي في الحقيقة مجتهدة في هذا المجال حيث جاءت بالاضافات الجديدة ، والعميقة ، ثم تكمل على نفس النهج فتقول عن الإرادة : "ولا يستعمل الفعل منها بصيغة الأمر ، في أي موضع من القرآن كله ، وهو ملحظ لم يلتفت إليه المفسرون ، ولا المتكلمون في الإرادة .. أما قصر استعمال فعل الإرادة في القرآن كله على الماضي والمضارع دون الأمر ، فالذي اهتديت إليه من سره البياني هو أن مناط الإرادة في القرآن الكريم وقوع الفعل ، لا الأمر به أو الحمل عليه" (م ١٠٨). وتوضح في موضع آخر فتقول: "وفي معجم العربية تأتي الروح مرادا بها : ما تقوم به حياة الأنفس ، أما النفس فتطلق على ذات الإنسان ، مادة ومعنى ، فيقال: جاء فلان نفسه ، كما تطلق على العنصر المعنوي

منه ، فيقال : علم الله ما في نفسي ، وتأتي احيانا بمعنى الروح فيقال : خرجت نفسه ، إذا مات ، ملحوظا فيها ما ليس بمادي من كيانه ، والقرآن الكريم يفرق بين الروح والنفس فليستا فيه مترادفتين" (م ١٤٤).

يتضح مما قدمناه ، أن عائشة استخدمت المنهج التحليلي اللغوي في تفسير آي القرآن الكريم ، وهذا من واقع اهتماماتها ، وطبيعة دراساتها اللغوية ، وهذا بدوره نجده قد انعكس على أسلوبها في الكتابة ، وطريقتها في عرض الفكرة ، فكان أسلوبها سهل ، واضح في المعنى ، ومجسد للفكرة ، من خلال الصور والمحسنات البديعية التي تخللت في ثنايا العرض الشيق الذي قدمته في الكتاب ، ونذكر بعضا من هذه الصور علي سبيل المثال:

فتقول : "..بحيث ينسى في نشوة زهوه وكبرياء غروره ، أنه المخلوق الضعيف الذي يعبر رحلة الدنيا من عالم المجهول إلي عالم الغيب ، على الجسر المفضي حتما إلي حفرة من تراب" (م ١٥).

وفي مكان آخر تقول : "مع هذا كله فإنه (الإسلام) في رياضته للبشرية على تحقيق وجودها الأسمى ، استشرف بها إلى غاية تبدو بعيدة ، وأفسح لها مجال الطموح إلى ما وراء هذا الأمل القريب في احترام حرية التدين" (م ٨٠) . ثم تقول في موضع آخر "لكن البشرية وجدت في البشرى بحياة ثانية بعد الموت ، ما يغريها بمواصلة الكفاح ويقوي عزيمتها في الصراع بين الخير والشر ، وما يعطي حياتها الأولى الفانية ، معنى وقيمة تستحق أن تعاش ، ومضت الحياة لا تتوقف ، وتابع الإنسان نظاله الدائب من أجل انتصار الحياة .. وعلى الأمل الموعود في اللقاء بالعالم الآخر ، هان على الأحياء منا أن يودعوا

أحبابهم في الحفرة الموحشة ، وأن يطيقوا بعدهم محنة العيش إلى أن يحين الأجل المحتوم فيلتئم الشمل الممزق ، ولولا هذا الرجاء لألقى بهم اليأس في جحيم من العذاب لا نجاة منه إلا بالفرار إلى الموت" (م ١٢٣).

كما يشدها الحنين إلى الأدب العربي فهي لا تنسى أن تستشهد بأبيات من ديوان أبي العلاء المعري ، لتوضيح فكرة الروح والنفس في الأدب العربي ، (م ١٣٩ و ١٥٢) . كذلك تستشهد بمجموعة من أبيات شعر لأبن "سينا" عن النفس الإنسانية (م ١٤٨ و ١٤٩) .

ولا يفوتنا أن نذكر استخدامها الميسر للعبارات والألفاظ والتراكيب بوجه عام ، إلا أن الأمر أحيانا يجعلها تعلو في مستوى الألفاظ بقولها :"هي فك الرقاب المصفدة بأغلال الرق" (م ٦٩) . ثم نراها في مواضع نادرة تستخذم كلمات مثل قولها : "بعد أن توصل إلى اختراع قطع غيار لبعض ما يتلف من أجهزة الجسم البشري" (م ١٣٥). وأحيانا تستخدم اللفظ الأجنبي دون أن تكتب بديله باللغة العربية مثال ذلك في صفحة (١٦١). استخدمت كلمة راديو ولم تقل مذياع ، ولكنها تداركت ذلك في صفحة (١٧٠) عندما ذكرت كلمة الرينسانس فقد سبقتها بالكلمة العربية عصر الإحياء

كما نلاحظ أن عائشة في أسلوب العرض الذي تناولته في الكتاب قد استخدمت عبارة "كتاب الإسلام" كمرادف للقرآن الكريم ، وقلما استخدمت مرادفات أخرى مثل الفرقان ، البيان ، الكتاب ، أو التنزيل ، ولكنها فضلت وصف القرآن بكتاب الإسلام الذي جاء ذكره أكثر من مرة في الصفحة الواحدة ، أنظر (م ١٢٨ ، ١٣٦) وكذلك في صفحات متفرقة تبلغ أكثر من خمسة وثلاثين ، على سبيل المثال (م

١٧ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩١، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٦٥) .

كما يلاحظ أيضا أنها استخدمت كلمة (آية) مرادفا لـ"سورة" فكانت تقول "آية القيامة ، وآية النحل ، وآية الرحمن " (م ٤٥). وكذلك في قولها "وانفردت أمانة الإنسان في آية الأحزاب" (م ٥١). وهكذا في صفحات أخرى مثل صفحة (١١١). وخاصة أنها أحيانا تشير إلى كلمة "سورة" أنظر صفحة (٨٤) فتقول : "في مستهل الوحي نزلت سورة القلم ، ثاني السور المشهورة وفيها الآية المحكمة (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) ، ثم تتابع قولها "وبعدها نزلت آية النجم خطابا لخاتم الأنبياء (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا .)" ولم تذكر عائشة رقم الآية ، فكان أحرى بها - لما عهدناه فيها من دقة في البيان وإيضاح للمعاني - أن تقول سورة النجم آية (..) وتذكر رقم الآية . ولذلك نجد أنها في كثير من المواضع تنحو هذا المنحى ، أنظر صفحة (٨٣) ، على سبيل المثال لا الحصر.

لم تتبع عائشة طريقة واحدة عند استشهادها بآي القرآن الكريم ، فمرة تذكر نَص الآيات القرآنية ، دون أن تشير إلى اسم السورة أو رقم الآية . أنظر على سبيل المثال (م ٢٥ ، ١٠٢) ومرة ثانية تذكر نَص الآيات وفي نهاية النص تكتفي بذكر اسم السورة دون ذكر رقم الآية . أنظر صفحة (١٣٠) ومرة ثالثة وهي الأفضل والتي يجب أن تلتزم بها من بداية الكتاب إلى آخره ، تذكر نص الآيات ثم يتلو ذلك ذكر اسم السورة ورقم الآية ، (م ٩٢ و ١٢٩) وأحيانا ما تبدأ بذكر

اسم السورة ، ورقم الآية ثم تكتب النص القرآني ، ومرة أخرى نراها تحيل القارىء إلى مجموعة من السور برقم آياتها ، دون أن تذكر النص القرآني (م ١٤ ، ١٢٨).

لذلك يجب أن توثق كل آي القرآن التي استشهدت بها وكذلك أن تتبع في توثيقها أسلوب واحد ، لكي يكتمل العمل العلمي شكلا كما هو مكتمل موضوعا.

وتبقى بعض الملاحظات الصغيرة ، التي قد تعتبر هامة ، منها : أن عائشة عندما ذكرت عنوان " الإنسان ، والإنس والبشر" قد تحدثت تحت هذا العنوان علي كلمة الناس ، لذا يفضل أن العنوان المذكور يضاف إليه كلمة الناس حتى يصبح "الإنسان ، والإنس والبشر والناس".

كذلك في ترتيبها لحريات الإنسان ، بدأت بالحرية العامة ، وهي الحرية المناقضة للرق ، ثم حرية الاعتقاد وحرية الفكر والرأي ، ثم حرية الإرادة (م ٦٣) . غير أن هذا الترتيب يحتاج إلى شيء من التعديل ، وخاصة في الجزء الأوسط منه ، بحيث يكون علي هذا النحو من الترتيب (حرية الفكر ، والرأي ، وحرية الاعتقاد) لأنك يجب أن تكون حر التفكير والرأي قبل أن تعتقد وتؤمن بهذا الشيء ، حتى يكون إيمانك به عن يقين وبعد تفكير حر . كما أننا في هذا المقام أيضا يجب أن نؤكد على أن الحريات لا تتجزأ ،كما أن هناك حريات أخرى كثيرة قد أقرها الإسلام ومنحها للإنسان.

هذا بالإضافة إلي أنه تكاد تندر الأخطاء المطبعية ، وغيرها إلا ما جاء عن السهو ، ففي صفحة (٩١) بأول سطر ، نجد ما نصه "أقر الإسلام حرية الإسلام في الإعتقاد والتدين.." وبالطبع لا تفوت على

فطنة القارىء بأنها (أقر الإسلام حرية الإنسان...) .

وفي ضوء الهدف الذي سعت إليه عائشة وقدمته في صدر كتابها ، "**من أجل اكتشاف سر الذات الإنسانية** " (م ٧) . أعتقد أن كتابها هذا مقال في الإنسان ؛ دراسة قرآنية ، أوضح لنا ، وأنار الطريق لفهم الطبيعة الإنسانية ، بالإضافة إلى ذلك فقد شفى غليلها ، وروى ظمأها ، ومن ثم فقد حقق الكتاب مرامها ، والهدف المنشود منه.

أما بالنسبة لمنهجها في تفسير الطبيعة الإنسانية ، فقد ألزمت نفسها ، قولا ، بالاعتماد على القرآن الكريم وحده ، ولكنها فعلا قد رجعت إلي كتب المفسرين في هذا الشأن وأخذت بآراء غيرها من المؤلفين وتبنت أفكار بعضهم . كما يلاحظ أنها لم تستخدم أسلوب موحد في إشاراتها للمراجع ، فمرة تشير إلى المرجع في المتن ، وأخرى تشير إليه في هامش الصفحة من أسفل . وهذه المراجع التي اعتمدت عليها كثيرا لم تذكرها في نهاية الكتاب كمراجع ومصادر للبحث الذي قدمته تحت عنوان "**مقال في الإنسان**".

ويبقى كتاب عائشة ، دليلا على عمق رؤيتها ، وأصالة تفكيرها ، بما قد أضافته للثقافة العربية والإسلامية من بحوث ودراسات عملاقة لا يؤثر فيها نقد ، ولا ينال منها بنقصان ، بل أنها تزداد نمواً وكمالاً ، أو اقترابا من الكمال .

جوانب لم تُطرق

بالطبع كل عمل يقوم به الفرد لا يخلو من نقص ، وكل قارئ له وجهات نظر قد تختلف عن رأي الكاتب ، في بعض المداخل وزوايا الرؤية ، وقد ترجع بعض هذه التباينات لخلفية الدارسين ومجالات تخصصهم واهتماماتهم . ومن الزاوية التربوية التي هي محور تعاملنا مع الطبيعة الإنسانية نستطيع أن نكمل أو نضيف بعض النواحي التي قد تسهم في مزيد من فهم الإنسان ، وسيكون مصدرنا الأساسي هو القرآن الكريم.

١ - الإنسان بين الفرد والمجتمع:

إن الدين الإسلامي يوحد بين مقياسين قد يبدو أنهما متعارضان ، المقياس الفطري ، وهو حب الذات . والمقياس الذي ينبغي أن يقام للعمل والحياة ، ليضمن السعادة والرخاء والعدالة.

إن المقياس الفطري يتطلب من الإنسان أن يقدم مصالحه الذاتية على مصالح المجتمع ومقومات التماسك فيه ، والمقياس الذي ينبغي أن يحكم ويسود هو المقياس الذي تتعادل في حسابه المصالح كلها ، وتتوازن في مفاهيمه القيم الفردية والاجتماعية.

فكيف يتم التوفيق بين المقياسين ، وتوحيد الميزانين ، لتصبح الطبيعة الإنسانية في الفرد عاملا من عوامل الخير والسعادة للمجموع ، بعد أن كانت مثار المأساة والنزعة التي تتفنن في الأنانية وأشكالها.؟

إن التوفيق والتوحيد يحصل بعملية يضمنها الدين للبشرية التائهة ، وتتخذ العملية أسلوبين:

الأول: هو تركيز التفسير الواقعي للحياة ، وإشاعة فهمها في مكانها الصحيح ، كمقدمة تمهيدية إلى حياة أخروية ، يكسب الإنسان فيها من السعادة على مقدار ما يسعى في حياته المحدودة هذه ، في سبيل تحصيل رضا الله ؛ فالمقياس الخلقي - أو رضا الله تعالى - يضمن المصلحة الشخصية ، في نفس الوقت الذي يحقق فيه أهدافه الاجتماعية الكبرى . فالدين يأخذ بيد الإنسان إلى المشاركة في إقامة المجتمع السعيد والمحافظة على قضايا العدالة فيه ، التي تحقق رضا الله تعالى ، لأن ذلك يدخل في حساب ربحه الشخصي ، مادام كل عمل ونشاط في هذا الميدان يعوض عنه بأعظم العوض وأجله .

فمسألة المجتمع هي مسألة الفرد أيضا ، في مفاهيم الدين عن الحياة وتفسيرها ، ولا يمكن أن يحصل هذا الأسلوب من التوفيق في ظل فهم مادي للحياة ، فإن الفهم المادي للحياة يجعل الإنسان بطبيعته لا ينظر إلا إلى ميدانه الحاضر وحياته المحدودة ، على عكس التفسير الواقعي للحياة الذي يقدمه الإسلام ، فإنه يوسع من ميدان الإنسان ، ويفرض عليه نظرة أعمق إلى مصالحه ومنافعه ، ويجعل من الخسارة العاجلة ربحا حقيقيا في هذه النظرة العميقة ، ومن الأرباح العاجلة خسارة حقيقية في نهاية المطاف . فالآيات الكريمة تقول: "من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها" (فصلت ٤٦). "ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب" (غافر ٤٠) . "يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" (الزلزلة ٦-٨).

"ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا .. إلا كتب لهم به عمل صالح ، أن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ، ولا يقطعون واديا .. إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون" (التوبة ١٢٠-١٢١).

هذه بعض الصور الرائعة التي يقدمها الدين الإسلامي مثالا على الأسلوب الأول ، الذي يتبعه للتوفيق بين الجانبين وتوحيد الميزانين فيربط بين الدوافع الذاتية للفرد وسبل الخير في الحياة ، ويطور من مصلحة الفرد تطويرا يجعله يؤمن بأن مصلحته الخاصة والمصالح الحقيقية العامة للإنسانية - التي يحددها الإسلام - مترابطان

وأما الأسلوب الثاني: الذي يتخذه الإسلام للتوفيق بين الدافع الذاتي والقيم أو المصالح الاجتماعية فهو التعهد بتربية أخلاقية خاصة ، تعني بتغذية الإنسان روحيا ، وتنمية العواطف الإنسانية والمشاعر الخلقية فيه ، فإن في طبيعة الإنسان طاقات واستعدادات لميول متنوعة ، بعضها ميول مادية تتفتح شهواتها بصورة طبيعية كشهوات الطعام والشراب والجنس ، وبعضها ميول معنوية تتفتح وتنمو بالتربية والتنشئة ، ولأجل ذلك كان من الطبيعي للإنسان - إذا تُرك لنفسه - أن تسيطر عليه الميول المادية لأنها تتفتح بصورة طبيعية ، وتظل الميول المعنوية واستعدادتها الكامنة في النفس مستترة .

والإسلام باعتباره يؤمن بقيادة معصومة مسددة من الله ، فهو يوكل أمر تربية الإنسان وتنمية الميول المعنوية فيها إلى هذه القيادة وفروعها ، فتنشأ بسبب ذلك مجموعة من العواطف والمشاعر النبيلة. ويصبح الإنسان يحب القيم الخلقية والمثل التي يربيه الدين على

احترامها ويستبسل في سبيلها ، ويزيح عن طريقها ما يقف أمامها من مصالحه ومنافعه . وليس معنى ذلك أن حب الذات يمحى من الطبيعة الإنسانية بل أن العمل في سبيل تلك القيم والمثل تنفيذ كامل لإرادة حب الذات ، فإن القيم بسبب التربية الدينية تصبح محببة للإنسان ويكون تحقيق المحبوب بنفسه معبرا عن لذة شخصية خاصة فتفرض طبيعة حب الذات بذاتها السعي لأجل القيم الخلقية المحبوبة تحقيقا للذة خاصة بذلك.

فهذان هما الطريقان اللذان ينتج عنهما ربط المسألة الخلقية الاجتماعية ، بالمسألة الفردية ، ويتلخص أحدهما في إعطاء التفسير الواقعي لحياة أبدية لا لأجل أن يزهد الإنسان في هذه الحياة ، ولا لأجل أن يخنع للظلم ويقر على غير العدل ، بل لأجل ضبط الإنسان بالمقياس الخلقي الصحيح ، الذي يمده ذلك التفسير بالضمان الكافي.

ويتلخص الآخر في التربية الخلقية التي ينشء عنها في نفس الإنسان مختلف المشاعر والعواطف التي تضمن إجراء المقياس الخلقي بوحي من الذات ، فالفهم المعنوي للحياة والتربية الخلقية للنفس في رسالة الإسلام هما السببان المجتمعان على معالجة السبب الأعمق للمأساة الإنسانية.

فالميزة الأساسية للنظام الإسلامي تتمثل فيما يرتكز عليه من فهم معنوي للحياة وإحساس خلقي بها ،والخط العريض في النظام هو : اعتبار الفرد والمجتمع معا ، وتأمين الحياة الفردية والاجتماعية بشكل متوازن ، فليس الفرد هو القاعدة المركزية في التشريع والحكم ، وليس الكائن الاجتماعي الكبير هو الشيء الوحيد الذي تنظر إليه الدولة وتشرع لحسابه.

ومن إعداد الإنسان لوظيفته أن نوازع التجمع فيه فطرية ، كنوازع الفردية سواء بسواء ، ونوازع التجمع تبدي نفسها في شتى المستويات وفي شتى الأنواع ، ففي قوله تعالى : "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" (الحجرات ١٣) ، والآية الكريمة "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض " (البقرة ٢٥١). وفي آية أخرى :"ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلاوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا" (الحج ٤٠).

وفطرية التجمع واضحة في الآية الأولى ،و هي نفس الدرجة في الآيتين التاليتين ولكن بصورة أخرى ، فالتدافع لون من ألوان التجمع كالتوافق ، إنها صورة الاحتكاك الاجتماعي الذي يعدل أوضاع التجمع ويمنع الفساد فيه.

"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" (الروم ٢١) ، والتقاء الجنسين على هذا المستوى فيه تلبية لنوازع التجمع بقدر ما فيه من تلبية لحاجات الكينونة الفردية . كما أن المسئولية الفردية ما زالت محددة "ولا تكسب كل نفس إلا عليها" (الأنعام ١٦٤). "ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم" (المائدة ١٠٥). "من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى" (الإسراء ١٥).

فالإنسان في القرآن هو هذا الكائن بعينه ، الذي يدب على هذه الأرض ، بفرديته العميقة ، وجماعيته العميقة كذلك ، بحوافزه الفردية التي لا بد أن تراعي وأن تلبى ، وحوافزه الجماعية التي لا بد أن تُشبْع

، بكينونتـه المزدوجة الممـتزجة المتنوعـة الطاقـات ، والاسـتـعـدادات الجسمية والعقلية والروحية التي لا تنفصل عن عناصرها المتوحدة المركبة والتي لا بد أن تراعى جميعها وأن تلبى ، وأن يعمل حساب الفارق العميق بينها وبين الآلة والحيوان ومن هذه القاعدة يأخذ الإسلام بيده ليرتفع به إلى أقصى درجات الكمال المقدر له بحسب تكوينه ، ويحترم ذاته وفطرته وكينونته الفريدة ، يضع له المناهج التي تعامل هذا الإنسان وهو فرد ، وتعامله وهو عضو في جماعة ، كما تعامله وهو بهذه الكينونة المزدوجة الممتزجة المركبة ، ومع اعتبار الإسلام لإنسانية الإنسان هذه من جميع الوجوه ومعاملته بمنهاج ملحوظ فيه هذه الإنسانية الكاملة . والتي لا تفرق بين الإنسان كفرد ، أو تضحي به كفرد في سبيل المجمتمع ، أو تركز على المجتمع وتهمل الفرد ، فإن التوازن الإسلامي هو الذي يسير بين الجانبين فلا يطغى جانب على آخر .

٢ - المرأة وعلاقات الجنسين:

إن طبيعة نظرة الإسلام إلى الإنسان لا تسمح بأن تكون العلاقة بين الجنسين مجرد العلاقة الحيوانية القائمة بين أزواج الحيوان ، فالإنسان مخلوق فذ في تكوينه ، فذ في غاية وجوده ، فذ في مآله ومصيره ، وهذه الخصوصية من شأنها أن تجعل لعلاقات الجنسين فيه غاية أبعد وأشمل وأكبر من غاية الالتقاء الحيواني واللذة الحيوانية ، غاية تتفق مع غاية وجوده كما تتفق مع طبيعة تكوينه .

إن التخبط في النظرة إلى المرأة وإلى علاقات الجنسين ، بين الافراط والتفريط والتقلب من طرف إلى طرف ، والشد والجذب الذي لا يستقر على طريق وسط ، ولا يتسق مع فطرة ولا خلق.

ولا يقل أثر الاضطراب والتخبط في النظرة إلى المرأة وإلى علاقات الجنسين في حياة المجتمع الإنساني ، عن أثر التخبط والاضطراب في النظرة إلى الإنسان وفطرته واستعدادته فكلاهما ينبع من معين واحد ؛ هو الجهل بحقيقة هذا الكائن بنوعه ،ومن الهوى كذلك والضعف ، ثم الانقطاع - مع الجهل والهوى والضعف - عن منهج الله وهداه.

ولإدراك أهمية هذه المسألة - مسألة التخبط في النظر إلى المرأة وإلى علاقات الجنسين - لابد لنا هنا من القول بأن الحياة البشرية يستحيل أن تستقيم وتعتدل وتطمئن ، إذا كانت علاقة الجنسين غير مستقرة ، وإذا كانت تتأرجح - تبعا للنظرة إلى المرأة - من أقصى اليمين وأقصى اليسار ، أو إذا كانت تستند إلى الجهل والضعف والهوى .

إن هذه العلاقة هي التي يقوم عليها بناء العمران - وهي قاعدة النظام الاقتصادي وتوزيع الثروات - كما يقوم عليها بناء الأخلاق الإنسانية في مجالات واسعة متشابكة والنظرة إلى هذه العلاقة ، وإلى العلاقات الاقتصادية كذلك فرع من النظرة إلى الإنسان التي عرضنا لها .

ولقد عني الإسلام - منهج الله للحياة الإنسانية - بتصحيح النظرة إلى المرأة ، وبإقامة العلاقة بين الجنسين على أساس من حقائق الفطرة ، وتوضيح هذه العلاقة في كل فرع من فروعها النفسية والعلمية ، بحيث لا تضطرب ولا تتأرجح ، ولا يكتنفها الغموض في زاوية من زواياها.

عني أولا ببيان وحدة الزوجين وتساويهما (من الناحية

الإنسانية) ليقضي على جميع النظريات الخاطئة التي تزعم أن المرأة جنس منحط بذاته عن جنس الرجل . يقول القرآن الكريم "ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء.." (النساء ١).

وعني ثانيا ببيان وحدة الزوجين وتساويهما (من ناحية علاقتهما بربهما وجزائهما عنده) فالآية الكريمة تقول : "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض " (آل عمران ١٩٥) . وفي آية كريمة أخرى "إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين ، والمتصدقات والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما" (الأحزاب ٣٥).

وعني الإسلام ثالثا ببيان نوع الصلة بين شقي النفس الواحدة ، وأهداف هذه الصلة المتنوعة ، سواء ما يختص منها بالزوجين ، وما يختص منها بالمجتمع الإنساني كله . فالقرآن الكريم يذكر قوله تعالى "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" (الروم ٢١) ، " وهن لباس لكم وأنتم لباس لهن " (البقرة ١٨٧) . "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم" (البقرة ٢٢٣).

وعني الإسلام رابعا بتنظيم الصلة بين الجنسين في كل أحوالها وأطوارها ، وما يشتركان فيه ، وما ينفرد به كل منهما -وفقا لتكوينه الفطري ووظيفته في المجتمع الإنساني القائم عليهما :

أ - فبين حقهما معا في أصل الملكية والكسب والميراث ، مع

خصوصية كل منهما في بعض الفروع ، وذلك للقضاء على جميع النظريات والأنظمة الخاطئة التي كانت تحرم المرأة حقها هذا. ولكن القرآن الكريم يذكرنا بقوله تعالى "للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن" (النساء ٣٢). "للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا" (النساء ٧) . "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين" (النساء ١١) . "ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ، إن كان له ولد ، فإن لم يكن له ولد ، وورثه أبواه فلأمه الثلث ، فإن كان له اخوة فلأمه السدس " (النساء ١١). "وإن كان رجل يورث كلالة أو أمرأة ، وله أخ أو أخت ، فلكل واحد منهما السدس" (النساء ١٢). "وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا" (النساء ٤).

ب -ويبن الإسلام لنا نظام قيام الأسرة ، ونظام التعامل بين الزوجين في الأسرة وحقوق كل منهما على الآخر ، وحقوق الأطفال الناشئين ثمرة التقائهما كذلك ، فالعلاقة تبدأ زواجا بمهر ، "وأحل لكم ما وراء ذلكم ، ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما" (النساء ٢٢).

والمرأة لا تورث كالمتاع ولا تمنع من الزواج بعد وفاة زوجها لتفتدي نفسها من أهل الزوج - ولا تمسك بعد الطلاق ضرارا حتى تفتدي نفسها من الزوج - كما كان الحال في الجاهلية . يقول الله تعالي في محكم كتابه "يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ، إلا أن يأتين

بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا" (النساء ١٩-٢٠).

وللرجل القوامة في البيت وعليه الانفاق ، وله مزاولة حقوق القوامة في المحافظة على كيان الأسرة من التفكك في مهب النزوات العارضة ، والمحافظة على العش الذي تتعلق به حقوق الأطفال ، وحقوق المجتمع البشري الذي يعتمد على الأسرة كمؤسسة في نموه الاجتماعي ورقيه . يقول القرآن الكريم "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللآتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا" (النساء ٣٤).

فأما حين يخشى على مؤسسة الأسرة التصدع والانهيار فهناك إجراءات أخرى يذكرها ويحددها القرآن الكريم "وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليما خبيرا" (النساء ٣٥). وحين لا تجدي هذه المحاولات فهناك الطلاق ليبحث كل منهما عن شريك يقيم معه مؤسسة الأسرة على أساس أقوى . "وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما" (النساء ١٣٠).

وللأطفال حقوقهم عند تفريق الوالدين "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة

بولدها ، ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وإن أردتم إن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم ، إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير" (البقرة ٢٣٣).

ولا نستطيع أن نمضي أكثر من هذا ، ويكفي أن نشيد بأن الإسلام عندما جاء إلى المجتمع الجاهلي ، حرم وأد البنات ، "وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت " (التكوير ٨-٩) . كما نهى عن السخط من انجاب ذرية الإناث ، والمقصود أن التشاؤم من إنجاب الإناث من أخلاق الجاهلية التي ذمها الله تعالي في قوله " وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون" (النحل ٥٨-٥٩). " وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم" (الزخرف ١٧).

مما سبق يتضح بجلاء أن النظرة الإسلامية إلى الطبيعة الإنسانية لم تفرق بين كونها ذكورة أو أنوثة في أي نوع من التفرقة القائمة على التمييز أو المفاضلة . وقد وضعت كل ذات في مكانها الصحيح تعمل في المجتمع ولها كيانها ودورها الخاص وفق تكوينها البيولوجي . حيث أن الطبيعة الأنثوية لها سمات خاصة بها مثل العاطفة ، والحنان ، وجوانب كثيرة تفوق طبيعة الرجل وتكوينه ، فهو يملك القدرة على التحمل والغلظة إلى حد ما وغيرها من السمات التي من شأنها أن تميز بين كونه ذكرا ، وكونها أنثى . ونلحظ ذلك في بعض الممارسات العملية في حياتنا العامة - والتي لم تضع أمام الأنثى عقبات لممارساتها أو أي موانع - فنجد تخصصا في فروع الطب لا تميل إليها

المرأة مثل التخصص في الجراحة ، وبعض الألعاب العنيفة مثل الملاكمة ، وإلى غير ذلك .

فالطبيعة الإنسانية خُلقت مُصممة على قاعدة الزوجية التي هي خاصية كونية وحيوية ، على قاعدة التكامل بين الزوجين ، لا التماثل ، كما يسمح الإسلام باختلاف النماذج والأنماط للطبائع الإنسانية في إطاره العادل.

٣ - التباين بين البشر:

قد تسمى في علم النفس بالفروق الفردية ، والاختلاف في القدرات والاستعدادات ، وهذا يقره الإسلام بطبيعة الحال ، وتلخصه الآيات الكريمة:

"لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت" (البقرة ٢٨٦). "ولا تكلف نفسا إلا وسعها" (المؤمنون ٦٢) وتتكرر في مواضع كثيرة تأكيدا على اختلاف قدرات البشر "لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما اتاها" (الطلاق ٧).

وهذه الفروق قد ترجع إلى التكوين الخلقي ، أو إلى ظروف النشأة أو إلى التفوق في العلم ، أو الدين ، وهذا ما سوف نوضحه من خلال الآيات الكريمة .

فنجد الفروق في البنية والخلقة ، فيقول تعالى في كتابه العزيز ، "وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو

على صراط مستقيم" (النحل ٧٦). "ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج" (الفتح ١٧).

وقد تأتي الفروق والتفضيل على أساس المقدرة على العمل ، "ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون" (الأنعام ١٣٢). "ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون" (الأحقاف ١٩).

وأيضا في تقسيم الرزق تظهر الفروق "والله فضل بعضكم على بعض في الرزق" (النحل ٧١). "نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا" (الزخرف ٣٢).

كما تبدو جلية الفروق في العلم والمعرفة ، "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (الزمر ٩) . "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة ١١). "نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم" (يوسف ٧٦) . "يؤتي الحكمة من يشاء" (البقرة ٢٦٩).

كما أن العلم ومنزلته تختلف لدى البشر ، نرى أن ذلك أيضا على مستوى عالم الجن ، "قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وأني عليه لقوي أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك" (النمل ٣٨-٤٠).

وبالمثل نجد الأنبياء بينهم فروق وتفاوت في المعرفة والقدرات التي وهبها الله لهم ، ففي قوله تعالى "ولقد آتينا داوود وسليمان علما

وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين" (النمل ١٥).

والتبـايـن بين الرسـل والأنبـيـاء في المقـدرة والعلم ، توضـحـه الآيةالكريمة ، "ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داوود زبورا" (الإسراء ٥٥) . ويوسف عليه السلام لديه موهبة تأويل الأحاديث "رب قـد آتيـتني من الملك وعلمـتني من تأويـل الأحاديث " (يوسف ١٠١). "يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمـان يأكلهن سبع عـجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون" (يوسف ٤٥-٤٦).

وعلى مسـتوى أفراد الأسرة ، وبين الأخوة من الرسـل ، نجد منهم الفصيح كـ "هارون" ومن له عقدة في لسانه مثل "موسى" ، الذي يقول الحق تبارك وتعالى على لسانه ، "رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري" (طه ٢٥-٣١). "ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل إلى هارون" (الشعراء ١٣). "وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني أني أخاف أن يكذبون" (القصص ٣٤).

والتبـاين والفـروق تظهر أكـثـر بين الخبيث والطيب ، وتفضـيل المجاهدين والصالحين ، "قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ، فـاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون" (المائدة ١٠٠). "ومن يأته مـؤمنا قـد علم الصـالحـات فـأولئك لهم الدرجات العـلا" (طه ٧٥). "الذين آمنوا وهاجـروا في سـبـيل الله بأمـوالهم وأنفـسـهـم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون" (التوبة ٢٠).

وفي القرآن الـكريم آيات كـثيـرة تبين لنا الفـروق والتـفـضـيل بين الأفراد ، كـمـا أوضـحنا بعضـا منهـا ، ولا شك في أن لهـذه الفروق بين

الأفراد حكمة إلهية . إذ هي تدفع الإنسان والمجتمع نحو التطور والرقي المستمرين ، إذ لو كان البشر مثل النحل لما وجد الطموح الإنساني ولما وجد التطور والتنوع في الحياة الاجتماعية ، والإبداع والاختلاف الناتج عن تعدد المواهب والفروق بين البشر ، وتباين الاهتمامات والميول ، فحياة الإنسان لا تكون نمطية وعلى وتيرة واحدة بل يدخلها التغيير والتطوير في كل جيل جديد . وكل عبقرية جديدة . وكل تفكير جديد ، هذا وان القرآن الكريم جاء صريحا في أن تفوق البعض على الآخرين في المنزلة والمقدرة ، إنما هو بمثابة امتحان لهم ، فهل يستخدمون هذا التفوق في الخير العام ، أم يعتريهم الغرور والكبرياء والأنانية؟ فيقول في محكم كتابه "هو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم أن ربك سريع العقاب وأنه لغفور رحيم" (الأنعام ١٦٥).

٤ - السمات النفسية للطبيعة البشرية:

إن القرآن الكريم يعرض أنماطا من نماذج النفوس البشرية على نطاق واسع ، يشمل كل أنماط النفس البشرية في أصالتها الفطرية ، وفي حالاتها المنحرفة كذلك ، وفي هداها وفي ضلالها ، وفي رشدها وغيها ، وفي استقامتها وفي إعراضها ، وفي ارتفاعها وفي هبوطها ، وفي قوتها وفي ضعفها ، وفي سرها وفي علانيتها ، وفي فرديتها وفي جماعيتها ، وفي شتى صورها وأشكالها وأوضاعها وأحوالها .. يعرض ذلك كله في حيز من التعبير يستحيل - لو لم يكن من عند الله - أن يسع هذا الحشد الكبير من الأنماط والنماذج ، والأحوال والأطوار ، وأن يصوره في دقة وعمق لا يبلغهما الأسلوب البشري ولا في أضعاف أضعاف هذا الحيز من التعبير.

هذا المنهج لا يعرض "النفس البشرية" في صورة مذهب ، ولكنه يعرضها في صورة حقيقة ، يعرض الحقائق الكلية من خلال النماذج الفردية ، كما أنه يعرض السنة الثابتة من خلال الحدث العارض ويتفرد في هذا الأسلوب كما يتفرد في النتائج التي ينتهي إليها من خلاله على السواء.. إن عرض النفس في صورة "مذهب" - ككل منهج مذهبي آخر - يجعل الكاتب يختار من الحقائق والملاحظات والوقائع والصور التي تعارض خطه المذهبي - أو لا ينتظمها هذا الخط - وتجريدها من أهميتها من ثم تسقط جوانب شتى من الحقيقة الأساسية ، وهذا هو المنهج البشري -على الإطلاق - أما المنهج القرآني فإنه يعرض النفس الإنسانية كما هي في حقيقتها على النطاق الواسع الشامل ، لأن العمود الأساسي في العرض هو حقيقة النفس الإنسانية في شتى حالاتها ، لا مذهب معين في النظر إليها.

ومن ثم في عرضنا لنماذج من النفس البشرية ، إنما نعرض صورة نفسية للطبيعة الإنسانية كما جاءت في القرآن الكريم ، والآيات الكريمة التي تبرز سمات النفس الإنسانية كثيرة ، ولكننا سوف نحاول الاستشهاد بآية أو آيتين ، موضحين بعض من الصور المختلفة للنفس البشرية.

نرى أنماط من الناس تحاول جاهدة أن تقوم بأنشطة كثيرة في وقت واحد ، أو تبدو مهتمة بأداء عملها في أمرين متزامنين ، وهذا بطبيعة الحال لا يثمر في النهاية بنتيجة طيبة ، وان الله تعالى يعلم ما في صدر الإنسان وما توسوس به نفسه ، وأقرب إليه من حبل الوريد ، فيقرر القرآن الكريم أن التركيز سيبقى تجاه أمر واحد ، واستحالة الجمع بين الأمرين في آن واحد ، يقول تعالى "ما جعل الله لرجل من قلبين في

جوفه" (الأحزاب ٤).

كما يصف القرآن الكريم النفس البشرية ، في حالة الضيق ، والأزمات والضُر ، نجد الإنسان يتضرع إلى الله لينقذه من محنته ، وعندما تمر الأزمة بسلام تعود النفس البشرية إلى لهوها ، وتنسى أن تذكر الله في السراء والضراء ، فيقول تعالى "وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون" (يونس ١٢). "وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا" (الإسراء ٦٧). "وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل" (الزمر ٨). وهذا ما يقول به العوام من قول مأثور (صلى وصام لأمر كان يطلبه فلما قضي الأمر لا صلى ولا صام).

كما أن بعض النفوس البشرية تجد في الخير سرورا يُنسيها أن تنفق وأن تتصدق على الآخرين ، حيث كان من قبل أن يأتيه هذا الخير في مسيس الحاجة إلى من يمن عليه ويغدق ، ولكن بعض النفوس نجدها "وإذا مسه الخير منوعا" (المعارج ٢١) ، "وإذا انعمنا على الإنسان أعرض ونأ بجانبه" (فصلت ١٥).

كما أن هناك حالات نفسية لبعض الناس تجده إذا فتح الله عليه باب الرزق انقلب فرحا سعيدا ، إذا أصابته مصيبة جزع وسأم ، وكفر بنعمة الله ، "فإن أصابه خير أطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة " (الحج ١١) . "وانا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور" (الشورى ٤٨). "وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما

قدمت أيديهم إذا هم يقنطون" (الروم ٣٦).

ويرسم القرآن الكريم صورا كثيرة للنفس البشرية المتمردة ، التي تزيد على ما سبق ، بأن الله تعالى إذا ما منح الإنسان النعمة ، قال إن هذا من عندي ، وكفر بنعمة الله عليه ، "فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم " (الزمر ٤٩). "لا يسئم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤس قنوط" (فصلت ٤٩). ولكن الله واسع المغفرة ويعلم النفس البشرية وخفاياها ، "ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم" (يونس ١١). ومن ثم نرى الإنسان متعجلا للخير دائما ، "خلق الإنسان على عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون" (الأنبياء ٣٧).

كما أن هناك سمات وصور للإنسان ذكرها الحق تبارك وتعالى في قوله "وكان الإنسان عجولا" (الإسراء ١١). وكان الإنسان قتورا" (الإسراء ١٠٠) ، "إن الإنسان لربه لكنود" (العاديات ٦) . "إنه ليؤوس كفور" (هود ٩). "إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا" (المعارج ١٩-٢١). "وخلق الإنسان ضعيفا" (النساء ٢٨). "كلا إن الإنسان ليطغى أن رأه استغنى" (العلق ٦-٧).

ونماذج كثيرة ، منهم من هو مكابر عنيد ، يعرف الخطأ وبالرغم من ذلك يتمادى فيه ، "وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالأثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد" (البقرة ٢٠٦). "وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون" (المائدة ١٠٤).

وأنواع أخرى من النفوس البشرية ، التى تظهر خلاف ما تبطن ،

وهو النفاق بعينة "ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام" (البقرة ٢٠٤). "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا" (النساء ١٤٥) . ومن ثم فإن الله تعالى يحاسب الناس على صدق نواياهم وما في صدورهم ، "لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم" (البقرة ٢٢٥). كما أن تغيير النفس البشرية وتغيير الناس واتجاهاتهم لا يأتي إلا من داخلهم ، "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (الرعد ١١).

كما أن النفس الإنسانية تحب المال والنساء والأبناء وتحب الفخر والتباهي ، ومتاع الحياة الدنيا، "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل والمسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب" (آل عمران ١٤). "وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما" (الفجر ١٩-٢٠) . "وقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا" (الكهف ٣٤). "واعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد " (الحديد ٢٠). فالإنسان كثيرا ما يحب لهو الحياة ، ويلهث وراء المال ، "وإذا رأوا تجارة أو لهو انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين" (الجمعة ١١).

ومن الناس من يعبد الله ، متظاهرا بذلك ، ولكن إيمانه في القلب هش ، والله تعالى مُطلع على الأفئدة ، "ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير أطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على جهه خسر الدنيا والآخرة" (الحج ١١). ومنهم من يندم ، ولكن بعد فوات

الأوان ، "وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ، يقول ياليتني قدمت لحياتي " (الفجر ٢٣-٢٤).

وهناك الكثير من أنماط البشر ، تظهر من خلالها الناحية النفسية لطبيعة الإنسان التي خلقها الله ، وقد ورد في القرآن الكريم آيات من الذكر الحكيم ، تحض على الفضيلة وتدعو الإنسان إلي الخير ، لتكتمل محاسنه ، وآيات أخرى تنهاه عن عمل الشر وتأمره بالابتعاد عن الرذائل ، ومثال الفضائل التي يدعو إليها الإسلام : البر بالوالدين ، والجهاد في سبيل الله ، والصدق في القول ، والأمانة ، الكرم والاعتدال ، والتواضع والعفو عند المقدرة، والتقوى ، وغيرها من الفضائل والسمات الحسنة التي تضفي على الطبيعة الإنسانية صفات الإنسان الكامل.

وهناك آيات تنهى الإنسان عن الرذائل مثل الظن ، والغضب ، والسخرية ، والبخل ، والنفاق ، والحسد ، والجبن ، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق.. وغير ذلك من النواهي .(أنظر الملاحق)

٥ - القدر الفطري والمكتسب في الطبيعة الإنسانية:

لا توجد دلائل قاطعة على أن القرآن الكريم حدد القدر المكتسب في طبيعة الإنسان ، والقدر الفطري الذي يولد به ، ولكن علم النفس وعلوم البيولوجي ، تؤكد أن الإنسان لديه غرائز ودوافع يولد بها ، ومنها الغريزة الجنسية ، وغريزة البقاء متمثلة في دوافع الجوع والعطش ، وغريزة الأمومة والأبوة ، وغيرها ، قد جاءت اشارات كثيرة منها في القرآن الكريم "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك

الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (الروم ٣٠).

وقد أوحى الله تعالى بالغريزة والفطرة ، إلى النحل ، فكانت أعمالهم نتاج الفطرة التي جعلها الله في تلك المخلوقات ، فصارت تعمل بحركة آلية ، قد جُبلت عليها ، "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ، " (النحل ٦٨-٦٩).

ثم أن القرآن الكريم يعلمنا بأن لكل فرد منا فطرته التي يولد عليها ، والمقصود بالفطرة ، هو الطبيعة الأصيلة للطفل ، أي الاستعدادات والميول الفطرية لكل فرد ، وهذه القدرات والميول الفطرية تولد فجة بسيطة ثم تتفاعل مع المحيط البيئي فتنمو في اتجاهات صحيحة أو خاطئة، فالطفل يولد لديه الامكانات والمؤهلات للنمو والتطور حسب المؤشرات التي تحيط به ، ومن هنا كان تأكيد القرآن الكريم على التربية ، فالقرآن يؤكد على أن الله وهب للإنسان حواسه ، وعقله وأمره باستعمال تلك الوسائل في طريق الخير وليس الشر ، "ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين" (البلد ٨-١٠) . "قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون" (الملك ٢٣).

ومن عظمة الخالق أن جعل القدر المكتسب في الحياة الإنسانية أو في السلوك البشري هو قدر هائل لم يتسن لأي رتبة من رتب الحيوان قدر مثله . وفي هذا قوة وميزة لبني الإنسان ، فنحن إذا شاهدنا جماعات النمل والنحل في أي مكان وفي أي زمان وجدنا أن لها تنظيما في توزيع العمل والأدوار المختلفة ، ثم وجدنا جماعاتها تنطلق

جيلا بعد جيل مكررة نفس النموذج الاجتماعي ونفس التنظيم . ومن هنا لم يكن لها تاريخ تطوري ، إنها تتكيف لظروفها وفقا لنماذج سلوكية فطرية ذات أشكال ثابتة ، أما الإنسان فإنه يولد متصفا بالعجز ، مزودا بقليل من النماذج السلوكية الفطرية ، ثم يحتاج إلى تدريب وتربية لفترة طويلة جدا ليكتسب أنماط السلوك التي تهذبه وتعتبر بمثابة خبرات تتفق مع مراحل نموه ، ومستوى ذكائه . يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم "وخلق الإنسان ضعيفا" (النساء ٢٨). " والله أخرجكم من بطون أمهاتهكم لا تعلمون شيئا" (النحل ٧٨).

ومن ثم فالإنسان به نقاط ضعف إذا لم يتلافاها بالتربية فإنه ساقط في الهاوية ، وخاسر في الحياة الدنيا والآخرة . ومن هنا نجد أن علم الإنسان محدود ، وهو مخلوق ضعيف يحاول أن يكمل هذا النقص بقدر المستطاع ، ويستمر في المجاهدة إلى أن يلقي مصيره ، "يا أيها الإنسان أنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه" (الانشقاق ٦).

فكانت حياة الإنسان سلسة من الخبرات الحياتية ، يزداد فيها معرفة وتنشئة اجتماعية ، فأخذ الإنسان يسعى منذ خلقه الله ، ويكتسب سلوكه وثقافته من بيئته ، فكان تأكيد القرآن على العلم والمعرفة ، والسعي في تدبر هذا الكون لمعرفة قدرة الله وعظمته.

"خلق الإنسان علمه البيان" (الرحمن ٣-٤) . ودعا إلى التعلم "اقرأ باسم بربك الذي خلق" (العلق ١). وقدر أهمية التعليم عندما أقسم بأدواته "ن والقلم وما يسطرون" (القلم ١). وحض على الاستزادة في العلم "وقل رب زدني علما" (طه ١١٤). ومهما وصل الإنسان إلى أقصى درجات العلم فمازال ضئيلا " وما أوتييتم من العلم إلا قليلا"

(الإسراء ٨٥) . ورفع الله مكانة العلماء "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة ١١). حيث أن العالِم هو الذي يدرك عظمة الخالق في خلقه فيخشاه ، "إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء" (فاطر ٢٨). وإن التعليم جهاد " وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" (التوبة ١٢٢).

من الآيات السابقة نعلم أن الإنسان يكتسب بالعلم والتربية سلوكه وهي وسيلة لمعرفة الخالق ، والإيمان به ، وثم لغرض معرفة الطبيعة وتسخيرها لخير الإنسان.

قد رأينا أن الإسلام لم يعوّل على البيئة فقط أو عامل الوراثة فقط ليرجع إليه التأثير في الطبيعة الإنسانية أو يرجع إليه كل مظاهر النمو و السلوك الإنساني ، بل قدّر الإسلام دور كل من البيئة والوراثة ورأى أنهما عاملان متكاملان في تكوين الشخصية ، وهما يؤديان عملهما معا منذ لحظة الحياة الأولى حين تتم عملية الإخصاب . ويستمران معا في عمل متكامل حتى نهاية الحياة ، فالكائن الحي يولد معه ميراث فطري قابل للعمل والنشاط وهذا الميراث الفطري يمارس فعاليته ونشاطه نتيجة لاستجاباته الدائمة لكل ما في البيئة من مثيرات.

ولعل هذا التكامل بين البيئة والوراثة في تشكيل الطبيعة الإنسانية يبدو في قول النبي عليه السلام "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" (صحيح مسلم ج٢ ص ٤٥٩). وفي رواية أخرى في صحيح مسلم :"من يولد يولد على هذه الفطرة ،

كما تنتجون الإبل فهل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها" ، فالطبيعة الإنسانية ثمرة بذرتها الوراثة ، وتربتها البيئة ، وسقياها ورعايته بالتربية.

٦ - الفضائل والرذائل كسمات إنسانية:

واجب الإنسان أن يدخل في السلم كافة ، ويُحكّم منهج الله في أمره كله ، ثم يدعو ويبلغ ، ولا يكتم من دين الله شيئا ، ولكي يبلّغ ويجاهد ويمكّن لمنهج الله في الأرض فهو مكلف بالولاء لله ورسوله وللمؤمنين ، ومنهي عن الولاء للشيطان والطغاة وغير المؤمنين ، هو على وعد من الله بالفلاح والنصر والتمكين.

ويرسم القرآن صورا للإنسان في شتى صفاته وشتى حالاته وشتى استجاباته ، يبدو معها أن الإنسان يكون في أحسن حالاته وأقومها حين يكون في حالات الإيمان ، فيتمسك بالصفات الحسنة ، ويبتعد عن الرذائل ، فينتج خيرا كثير لذاته ولمجتمعه ويصلح حاله في الدنيا والآخرة .

ويكون الإنسان في أسوأ حالاته وأشدها اختلالا حين ينحرف عن محوره الفطري فيتبع هواه ويغويه الشيطان فيزين له الرذائل ويرتكب المعاصي ، حيث يفسد كيانه وتفسد حياته ، فيعم الفساد من حوله بفعله ، فيخسر الحياة الدنيا والآخرة.

ومن ثم نجد فضائل وسمات يجب على الإنسان أن يتمسك بها ، وهي أوامر ربانية ، وكذلك هناك رذائل وصفات يجب على الإنسان أن يبتعد عنها ، في نواهي قد أمرنا الله بأن لا نقربها . ويعلم الله أسرار

النفس البشرية وما توسوس به للإنسان "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" (ق ١٦).

وسوف نعرض بعض الفضائل التي يأمرنا القرآن الكريم بها ، وكذلك بعض النواهي وهي رذائل يجب أن نتجنبها ، وسوف نقدمها بإيجاز ، كما أن الاستشهاد بآي القرآن الكريم في كل موقف لا يعني أننا نسرد ونحصي كل الآيات التي تتحدث عن هذا الجانب ، ولكنها أمثلة توضح لنا أنه إذا ما تحلى الإنسان بالفضائل وتخلى عن الرذائل اقتربت الطبيعة الإنسانية من الصورة المثلى المنشودة ، في كونه إنسانا إنسان.

أولا: <u>الفضائل التي يجب أن يتمسك بها الإنسان:</u>

الدعوة إلي الإسلام: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" (النحل ١٢٥).

طاعة الله ورسوله: " واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون" (آن عمران ١٣٢) "واطيعوا الله واطيعوا الرسول" (المائدج ٩٢). "واطيعوا الله ورسوله" (الأنفال ٤٦).

بر الوالدين: "وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامي والمساكين" (النساء ٣٦). " وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى" (البقرة ٨٣). "ووصينا الإنسان بوالديه حسنا" (العنكبوت ٨).

العفو والصفح" : "يسألونك ماذا ينفقون قل العفو" (البقرة ٢١٩).

"فيمن عفا وأصلح فأجره على الله" (الشورى ٤٠). "الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين" (آل عمران ١٣٤). "وإن تعفوا وتصفحوا تغفروا فإن الله غفور رحيم" (التغابن ١٤).

الشورى: "وأمرهم شورى بينهم" (الشورى ٣٨). "وشاورهم في الأمر" (آل عمران ١٥٩).

الزينة: " قل من حرم زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق" (الأعراف ٣٢). "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد" (الأعرف ٣١).

الصلح والوفاق: "فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون" (الحجرات ١٠) . "لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو أصلح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عضيما " (النساء ١١٤).

التروي والتثبت: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" (الحجرات ٦).

الصبر: " واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون" (النحل ١٢٧). "يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين" (البقرة ١٥٣). "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون" (البقرة ١٥٦).

المعاملة بالمثل: "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو

خير للصابرين" (النحل ١٢٦).

عمل الصالحات: "فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله" (النساء ١٧٣).

التعاون: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان " (المائدة ٢).

الإحسان: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" (النحل ٩٠).

التحية وحسن السلوك: "وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا" (النساء ٨٦). "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها " (النور ٢٧).

الأمانة: "فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أوتمن أمانته وليتق لله ربه" (البقرة ٢٨٣).

القسط : "قل أمر ربي بالقسط" (الأعراف ٢٩).

الوفاء بالعهد: "بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين" (آل عمران ٧٦). "واوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا" (الإسراء ٣٤).

الصراحة وصدق الطوية: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا" (الأحزاب ٧٠).

النجدة : "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون" (التوبة ٦)

العدل: "وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى" (الأنعام ١٥٢).

"واقسطوا إن الله يحب المقسطين" (الحجرات ٩).

التواضع: "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" (الفرقان ٦٣). "ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور" (لقمان ١٨).

الاعتدال ، لا اسراف ولا تقتير: "والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما" (الفرقان ٦٧).

الطاعة: "فاتقوا الله واطيعون ، ولا تطيعوا أمر المسرفين" (الشعراء ١٥٠-١٥١).

النظافة : "فاجتنبوا الرجس من الوثان" (الحج ٣٠). "وثيابك فطهر" (المدثر ٤).

الخشوع: "ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا" (الإسراء ١٠٩). "الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم" (الحج ٣٥).

الحق: "وقل الحق من ربكم " (الكهف ٢٩).

الإيثار: "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة" (الحشر ٩).

الحكمة: "يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولي الألباب" (البقرة ٢٦٩).

العمل: "قل ياقوم اعملوا على مكانتكم أني عامل فسوف تعلمون" (الأنعام ٣٥). "وإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله" (الجمعة ١٠).

الجهاد: "انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله

ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" (التوبة ٤١).

الطهر والعفة: "وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله" (النور ٣٣).

ثانيا: الرذائل التي يجب الابتعاد عنها:

الشرك بالله: "إن الله لا يغفر إن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" (النساء ٤٧). "إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان ١٤). "إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار" (المائدة ٧٢).

ترك الصلاة: "فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون" (الماعون ٤-٥). "ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين" (المدثر ٤٢-٤٣).

منع الزكاة: "وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون" (فصلت ٦-٧).

النفاق: "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا" (النساء ١٤٥).

الاعتداء: "يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " (التوبة ٨٧).

الظن : " وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون" (يونس ٣٦). "يا أيها الذين آمنوا

اجتنبوا كثير من الظن إن بعد الظن أثم " (الحجرات ١٢).

الفتنة: "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب" (الأنفال ٢٥).

الزنا: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا" (الإسراء ٣٢).

الظلم: "إنه لا يحب الظالمين" (الشورى٤٠).

الجهر بالسوء: "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم " (النساء ١٤٨).

المؤامرات: "والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور" (فاطر ١٠).

قول الزور: "والذين لا يشهدون الزور" (الفرقان ٧٢). "فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور" (الحج ٣٠).

البخل : "واحضرت الأنفس الشح" (النساء ١٢٨). "ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة" (آل عمران ١٨٠). "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" (التوبة ٣٤).

الغضب : "وإذا ما غضبوا هم يغفرون" (الشورى ٣٧).

الفضول : "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم " (المائدة ١٠١).

السخرية واللمز والتنابز: "ويل لكل همزة لمزة" (الهمزة ١). "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خير منهم

ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون" (الحجرات ١١).

الغيبة: "ولا يغتب بعضكم بعضا" (الحجرات ١٢). "وإذا مروا باللغو مروا كراما" (الفرقان ٧٢).

الكبر والاستنكاف : "وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا" (المائدة ١٧٣).

الفساد : "ولا تفسدوا في الأرض بعد أصلاحها" (الأعراف ٨٥). "ولا تعثوا في الأرض مفسدين" (الأعراف ٧٤).

التبديد وأكل الأموال بالباطل: "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وانتم تعلمون" (البقرة ١٨٨).

الغرور: "يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم" (الانفطار ٦) "فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور" (لقمان ٣٣). "وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون" (آل عمران ٢٤). "وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله" (الحديد ١٤).

الحسد: "ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد" (الفلق ٤-٣).

التبذير والإسراف: "ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين" (الأنعام ١٤١) "ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا أخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا" (الإسراء ٢٦-٢٧).

الغش والمطففين في الكيل: "ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون" (المطففين ١-٣). "ولا تبخسوا الناس أشياءهم" (الأعراف ٨٥).

قتل النفس : "من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جيمع" (المائدة ٣٢). "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما" (النساء ٩٣).

البغي: "قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق" (الأعراف ٣٣). "إنما بغيكم على أنفسكم" (يونس ٢٣). "إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم" (الشورى ٤٢).

نقض العهد : "والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار" (الرعد ٢٥). "الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون" (الأنفال ٥٦) .

البطر والرياء والنفاق: "ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط" (الأنفال ٤٧). "والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا" (النساء ٣٨). "يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا" (النساء ١٤٢).

الجبن والفرار من الزحف : "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا

زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله" (الأنفال ١٥-١٦).

الميسر : "لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل" (النساء ٢٩). "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير" (البقرة ٢١٩) ، "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه" (المائدة ٩٠).

الربا : "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين" (البقرة ٢٧٨). "الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس" (البقرة ٢٧٥). "يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون" (آل عمران ١٣٠).

العجب والخيلاء: "إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا" (النساء ٣٦). "إنه لا يحب المستكبرين" (النحل ٢٣).

الخيانة: "وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين" (الأنفال ٥٨). "وان الله لا يهدي كيد الخائنين" (يوسف ٥٢). "لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون" (الأنفال ٢٧).

الخصومة : "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول" (النساء ٥٩).

البغاء : "ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن

غفور رحيم" (النور ٣٣).

المكر : "وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار" (الرعد ٤٢). "أفآمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون" (النحل ٤٥).

اللواط : "ولوطا إذا قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد العالمين ، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون" (الاعراف ٨٠-٨١). "أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أرواجكم بل أنتم قوم عادون" (الشعراء ١٦٥).

الانتحار : "ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما" (النساء ٢٩)

الفواحش : "ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن" (الأنعام ١٥١).

السرقة: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيدهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم" (المائدة ٣٨).

الغل : "ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار" (الأعراف ٤٣).

عدم التدخل في شئون الغير: "ولا تقف ما ليس لك به علم " (الإسراء ٣٦).

الشك : "الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" (البقرة ١٤٧).

الكذب: "إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب " (غافر ٢٨). "قُتل

الخراصون" (الذاريات ١٠) . "ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين" (آل عمران ٦١).

المن : "لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى" (البقرة ٢٦٤).

النميمة: "ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم" (ن ١٠-١١).

قطع الأرحام: "واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام" (النساء١). "فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم" (محمد ٢٢-٢٣).

اليأس من رحمة الله: "إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون" (يوسف ٨٧). "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" (الزمر ٥٣).

أكل مال اليتيم : "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا" (النساء ١٠). "ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن" (الأنعام ١٥٢).

كتمان العلم : "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" (البقرة ١٥٩). "إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة" (البقرة ١٧٤). " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم" (آل عمران ١٨٧).

وبعد

نستطيع في خلاصة موجزة أن نعرض لما جاء في دراسة العقاد وعائشة عبد الرحمن في النقاط التالية :

١ - تشابهت أفكار كلا من العقاد وعائشة ، في جوانب كثيرة إلي درجة التطابق ، من حيث المدخل والرؤية ، والجوانب التي كانت مثار جدل وخلاف في وجهات الرأي ، وفي إشاراتهما إلى كتب المفسرين ، وغيرها.

٢ - تناول العقاد الإنسان بنظرة فلسفية عامة ، ولم يطرح إلا النقاط الجوهرية فيه "كمحطات" يتوقف عندها ليفسر جوانب الغموض فيها . وكانت نظرة عائشة تحليلية لغوية ، "تفسير بياني" لمعاني القرآن الكريم ، وكانت أكثر تفصيلا في أمور دقيقة ، وتفرعت منها إلي قضايا جانبية أخرى.

٣ - كان لتأثير الخلفية العلمية والاهتمامات عند كل من العقاد وعائشة أثر كبير في توجيه النظرة إلى الطبيعة الإنسانية ، فكان العقاد يميل إلي التحليل النفسي ، وعائشة بعيدة عن هذا الجانب .

٤ - قد أضاف كل منهما معاني ومفاهيم جديدة ورؤية واضحة أفادت كثيرا في فهم الطبيعة الإنسانية ، وهما مجتهدان ، وقد وفّقا فيما يصبوان إليه لكشف الغموض حول الطبيعة الإنسانية.

٥ - مازالت هناك جوانب أخرى غامضة تحتاج إلى مزيد من التنقيب والبحث ، لمعرفة خفايا النفس والطبيعة البشرية ، من خلال القرآن الكريم ويعتبر كل ما جاء في هذه الدراسة تعبير عن الطبيعة الإنسانية من خلال رؤية العقاد وعائشة ، في تفسيرهما لآيات القرآن الكريم ، وهو اجتهاد محمود ، ودعوة لمزيد من الدراسات في هذا المجال.

٦ - يجب أن تجرى مزيد من الدراسات تتناول النفس الإنسانية والجسم ، والعقل ، الروح وأصل النشأة ، معجزة خلق الإنسان أمام العلم الحديث ، هذه الجوانب يجب أن تدرس في ضوء القرآن الكريم ، وأن يقوم بهذا العمل فريق من المتخصصين ، وعلى مستوى مؤتمر أو مجمع علمي يتولى مثل هذا العمل الكبير ، حتى تتبلور أهداف التربية الإسلامية ، والطبيعة الإنسانية ، فيتسنى لرجال التربية وضع أسس علمية لمناهج التربية وعلم النفس وكل فروع التربية ، تُبنى على أساس من الدراسات المتخصصة الجادة التي يدعمها الإجماع في الرأي ، من قبل رجال الدين والتربية الثقات ، حتى تستقر هذه المفاهيم ، وتتوحد معانيها ومدلولاتها عند رجال التربية وغيرهم من المهتمين بشئون الإنسان ، والتربية الإسلامية.

٧ -ومن ثم فإن ما قُدّم في هذه الدراسة ، لا يخرج عن كونه اجتهادا قد أكون أخطأت في بعض جوانبه ، فلي بذلك أجر ، أو أكون قد أصبت في معظم الجوانب فلي على ذلك أجران . فقد كانت هناك قضايا عندما أريد أن أتعمق فيها أجد نفسي محدودا ومقيدا ، نظرا لما يدور حول هذه القضايا من خلاف ، ولا

استطيع أن أقدم من عندي رأيا قاطع ، كما أن تخصصي التربوي كان يقف بي عند جوانب للرؤيا تخص مجال التربية ، دون التعمق في مسائل الدين ، أو مجال التفسير ، وغيرها .
وآمل أن أكون قد عرضت بعض الجوانب في الطبيعة الإنسانية ، كمحاولة لإضافة بعض الأبعاد والقضايا التي لم تطرق في كتابي العقاد وعائشة ، وكانت لها أهمية تستحق الدراسة ، وقد تسهم في تسليط بعض الأضواء لتنكشف لنا أسرار الطبيعة الإنسانية في ظلال القرآن الكريم.

٨ - وقد تفيدنا مثل هذه الدراسات في كونها دليلا نسترشد به في العملية التربوية ، علي النحو التالي:

- تفيدنا في فهم الطبيعة الإنسانية فهما إسلامية مبنيا على التصور القرآني ، حتى نواجه متطلبات الفرد وحاجاته ، ومعرفة ميوله ودوافعه ، وقدراته ، فيسهل العمل التربوي وتمضي التربية في مسارها الصحيح.

- إن هدف الإنسان في هذه الحياة هو عبادة الله وخلافته في الأرض ، وتعمير الكون ، ومحاربة الفساد .

- أن نربي الفرد على عقيدة التوحيد ونغرس فيه الوازع الديني والضمير الأخلاقي الذي يصبح هو قبس من نور يضيء للإنسان طريقه ويهديه إن أظلم عليه السبيل والتبست عليه المسالك . ويصبح بذلك قادرا على التوافق مع نفسه ، سرا وعلانية ، فيعمل وفق ما يمليه عليه ضميره الإسلامي الحي.

- أن نربي الإنسان على تحمل المسئولية وتبعاتها وأن نغرس فيه القدرة

على المكابدة وأن نعلمه أن المفاضلة بين الناس قائمة على أساس التفاوت بين الناس في مقدرتهم على تحمل المسئولية والقيام بتبعاتها ، فهي نوع من التكليف الذي يميز الإنسان بإنسانيته دون سائر المخلوقات. وإنه مسئول أيضا عن عمله ، فهو حر الإرادة ويحاسب على ما اقترف ، إن خيرا فخير وإن شرا فله الجزاء المقابل.

- أن ننظر إلى الفرد على أنه كل متكامل فلا توجد هناك أزدواجية أو تناقض بين كونه فردا ، أو كونه في مجتمع ، أو أنه جسم وروح ، أو نركز على مطالب الحياة الدنيا ونغفل الحياة الآخرة ، أو عكس ذلك ، فالتوازن والاعتدال والوسطية هي الأسلوب الأمثل في التربية ، بحيث لا نهتم بجانب على حساب الآخر.
- ان الإنسان يحمل في طياته جانبي الخير والشر ، فنحن لا نتوقع منه أن يعلو إلى درجة الملاك ، أو ينحط إلى درك الحيوان أو الشيطان ، بل هو إنسان يخطأ فنوجهه فيتعلم ويتمثّل التنشئة الصالحة ، ويصيب فنشجعه فتنمو مواهبه وقدراته بكل إنطلاق ، بنوع من المرونة واليسر وفق أساليب التوجيه والتربية الصحيحة.
- وأن الله تعالي قد حدد لنا أوامر يجب أن نمتثل إليها ، وحدد لنا نواهي يجب أن نبتعد عنها ، حتى يصبح الإنسان كاملا بإنسانيته ، مطيعا لربه ، وحافظا لدينه ، ويجب أن نتوقع أن هناك استجابات متفاوتة للبشر تنبع من اختلاف قدراتهم واستعدادتهم ، وفي فهمهم للدين ، أو قد ترجع إلى حدود طبيعتهم التي جبلوا عليها وولدوا بها ، تلك هي الفروق الفردية

، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت.

- لقد خلق الله الإنسان على الفطرة ، ومن ثم فإن للتربية دور هام في تحمل العبء الأكبر ، حتى يشب النشء علي الإسلام الحنيف ، فإن خلق الإنسان ضعيفا يزيده اعتمادا علي الآخرين فيتحقق بذلك التعاون ، وتبني المجتمعات خبراتها ومجدها ، ويتشرب الإنسان الثقافة ويُعد إعدادا حسنا ، فإن في هذا الضعف قوة ، تؤدي إلى الاستزادة لمحاولة الوصول إلى الكمال.

- وعلينا أن نضع المناهج ، وأساليب التعليم ،وطرق الإرشاد والتوجيه ، والتربية الصحيحة ، نحو توجيه الفرد بأن يعلم نفسه بنفسه ، ويصبح لديه الحافز الداخلي على تطوير حياته ، يرفع مستواه العلمي والمعيشي، حتى يصبح إنسانا عصريا بمعنى أنه متمسكا بأصوله الدينية ، وعراقته وتراثه الحضاري ، وفي نفس الوقت ، إنسانا منفتحا عقليا واعيا بالتيارات التي حوله ، قادرا أن يميز بين الغث والسمين منها ، و يستطيع أن يواجه متغيرات العصر بلا عُقد أو عقبات ، فلا تطرف في قالب من الجمود ، ولا تحلل في صيغة إغتراب وتطلع إلي تقليد الغرب وإنسلاخ عن بيئتنا وواقعنا بل هو تطلع إلى آفاق المستقبل ، وقبول هذا التحدي الحضاري بنوع من التحدي الفكري والابتكار ، والنبوغ والتفوق ، والمزيد من البحث العلمي ، حتى نتبوأ مكانا مرموقا ، عن جدارة ، بين الأمم المتقدمة ونأمل هذا في المستقبل القريب إن شاء الله.

مراجع الدراسة

(١) - إبراهيم بن عبد الله الأنصاري ، **إرشاد الحيران لمعرفة آي القرآن** ، ط ٣ الدوحة: مكتبة إحياء التراث ، ١٩٨٦.

(٢) - أبي عبد الله محمد الذهبي ، **كتاب الكبائر** ، دمشق : دار ابن كثير ، ط٣ ، ١٩٨٧.

(٣) - أحمد حسن عبيد ، **فلسفة التربية** ، مذكرة بالاستنسل ، كلية التربية جامعة الأزهر ، ١٩٧٥.

(٤) - سيد قطب ، **الإسلام ومشكلات الحضارة** ، ط٧ ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٢.

(٥) - سيد قطب ، **العدالة الاجتماعية في الإسلام** ، ط ٩ ، بيروت: دار الشروق ، ١٩٨٣.

(٦) - سيد قطب ، **مقومات التصور الإسلامي** ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٦.

(٧) - عائشة عبد الرحمن ، **مقال في الإنسان ، دراسة قرآنية** ، القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦٩.

(٨) - عباس محمود العقاد ، **الإنسان في القرآن** ، سلسلة اقرأ (٢٦) القاهرة: دار الهلال ، ١٩٦١.

(٩) - عبد المجيد اللبان ، **مشكلات فلسفية** ، القاهرة: وزارة التربية والتعليم ، ١٩٥٤.

(١٠)- محمد أحمد كنعان ، **قرة العينين على تفسير الجلالين** ، ط٣ ، الدوحة: دار إحياء التراث ، ١٩٨٣.

(١١)- محمد باقر الصدر ، **فلسفتنا** ، ط ١٣ ، بيروت: دار التعارف ، ١٩٨٢.

(١٢)- محمد فؤاد عبد الباقي ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، القاهرة: مطبعة الكتب المصرية ، د. ت.

(١٣)- محمد فضل الجمالي ، **تربية الإنسان الجديد** ، تونس : الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٦٧.

(١٤)- Maurice Bucaille, **What is The Origin of Man? The Answers of Science and the Holy Scriptures**, Translated from the French , by Alistair D. Panelled, publisher Seghers , Paris, 1983.

(١٥)- Maurice Bucaille, **The Bible , The Quran and Science,** Inter Forum, Paris, 1976.

الملاحق

ملحق (١)

تخريج وتوثيق آي القرآن الكريم التي استشهد بها العقاد في كتابه.

(سنورد هنا رقم مسلسل ، يليه رقم الصفحة التي ورد فيها النص القرآني ، ثم يتلوه اسم السورة ورقم الآية .وقد تتكرر نفس الآية مرة أو أكثر، فعلى قدر تكرارها سوف نوردها بالترتيب كما جاءت في الكتاب [الإنسان في القرآن])

١ - (ص ١٧) "كل أمرىء بما كسب رهين" (الطور ٢١).

٢ - (ص ١٧) "تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون" (البقرة ١٤١).

٣ - (ص ١٨) "ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون " (يونس ٤٧)

٤ - (ص ١٨) "وأن من أمة إلا خلا فيها نذير" (فاطر ٣٤).

٥ - (ص ١٨) "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" (الإسراء ١٥)

٦ - (ص ١٨) "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم" (العلق ٣-٥).

٧ - (ص ١٨) "وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم" (البقرة ٣١-٣٢).

٨ - (ص ١٨) "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" (البقرة ٢٨٦).

٩ - (ص ١٨) "وان ليس للإنسان إلا ما سعى" (النجم ٣٩).

١٠- (ص ١٩) "ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" (الزلزلة ٨-٩).

١١- (ص ١٩) "ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا أني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون" (المؤمنون ٥١-٥٢).

١٢- (ص ١٩) "لقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" (الإسراء ٧٠).

١٣- (ص ١٩) "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" (التين ٤).

١٤- (ص ١٩) "وسخر لكم ما في السماوات" (الجاثية ١٣).

١٥- (ص ١٩) "وسخر لكم ما في الأرض" (الجاثية ١٣).

١٦- (ص ٢٠) "إن الإنسان لظلوم كفار" (إبراهيم ٣٤).

١٧- (ص ٢٠) "كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى" (العلق ٦-٧).

١٨- (ص ٢٠) "إن الإنسان لفي خسر" (العصر ٢).

١٩- (ص ٢٠) "بل يريد الإنسان أن يفجر امامه" (القيامة ٥).

٢٠- (ص ٢٠) "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين" .التين ٤-٥).

٢١- (ص ٢١) "لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (المؤمنون ١٢-١٤).

٢٢- (ص ٢١) "ذلك علام الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه" (السجدة ٦-٨).

٢٣- (ص ٢١) "ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون" (الروم ٢٠).

٢٤- (ص ٢١) "سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون" (يس ٣٦).

٢٥- (ص ٢٥) "ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا" (آل عمران ١٩١).

٢٦- (ص ٢٥) "أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى" (الروم ٨).

٢٧- (ص ٢٦) "قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضر إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون" (الأعراف ١٨٨).

٢٨- (ص ٢٦) "قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول أني ملك ان اتبع إلا ما يوحي إلي قل هل يستوي الأعمي والبصير أفلا يتفكرون" (الأنعام ٥٠).

٢٩- (ص ٢٧) "ولو فتحنا عليهم بابا من السماد فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون" (الحجر ١٤-١٥).

٣٠- (ص ٢٨) "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لأيات لقوم يعقلون" (البقرة ١٦٤).

٣١- (ص ٢٨) "قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها " (النساء ٩٧).

٣٢- (ص ٢٨) "قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد أذ جاءكم بل كنتم مجرمين" (سبأ ٣٢).

٣٣- (ص ٢٨) "يا أيها الذين آمنوا إن كثير من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله " (التوبة ٣٤).

٣٤- (ص ٢٨) "أتخـذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابا من دون الله" (التوبة ٣١).

٣٥- (ص ٢٩) "ومـا أرسلنا من قـبلك إلا رجـالا نوحي إليـهم فـأسـألوا أهل الذكـر إن كنتم لا تعلمـون" (النحل ٣٤).

٣٦- (ص ٣٢) "وعلى الله قصد السبيل" (النحل ٩).

٣٧- (ص ٣٢) "يا أيها الذين آمنوا لا تحـرّمـوا طيـبـات مـا أحل الله لكم ولا تعـتـدوا إن الله لا يحب المعـتـدين وكلوا مما رزقناكم حـلالا طيـبـا واتقـوا الله الذي أنتم به مؤمنون" (المائدة ٨٧-٨٨).

٣٨- (ص ٣٢) "يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض " (البقرة ٢٦٧).

٣٩- (ص ٣٢) "ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيـبـات مـا رزقناكم وأشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون" (البقرة ١٧٢).

٤٠- (ص ٣٢) "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مـا لا تعلمـون ، وعلى الله قـصـد السـبـيل ومنهـا جـائر ولو شـاء لهـداكم أجـمـعين ، هو الذي أنزل من السـمـاء مـاء لكم منه شراب ومنه شجـر فـيـه تسـيـمـون ، ينبت لكم به الزرع والزيتـون والنخـيل والأعناب ومن كل الثـمـرات ، إن في ذلك لآية لقـوم يتفكرون" (النحل ٨-١١).

٤١- (ص ٣٣) "يا بني آدم خـذوا زينتكم عند كل مـسـجـد وكلوا

واشـربوا ولا تسـرفـوا إنه لا يحب المسـرفين ، قل من حـرم زينة الله التي أخـرج لعـبـاده والطيـبـات من الرزق" (الأعرف ٣١-٣٢).

٤٢- (ص ٣٣) "ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش" (الأعرف ١٠).

٤٣- (ص ٣٣) "وابتغ فـيـمـا آتاك الله الدار الآخـرة ولا تنس نصيبك من الدنيا" (القصص ٧٧).

٤٤- (ص ٣٤) "ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين" (النحل ٩)

٤٥- (ص ٣٥) "قل الروح من أمـر ربي ومـا أوتيـتم من العلم إلا قليلا" (الإسراء ٨٥).

٤٦- (ص ٣٧) "ويسـألونك عن الروح قل الروح من أمـر ربي ومـا أوتيتم من العلم إلا قليلا" (الإسراء ٨٥)

٤٧- (ص ٣٨) "الله يتـوفى الأنفس حين مـوتهـا والتي لم تمت في منامها" (الزمر ٤٢).

٤٨- (ص ٣٨) "وهو الذي يتـوافكم بالليل ويعلم مـا جـرحـتم بالنهار" (الأنعام ٦٠)

٤٩- (ص ٣٨) "من قـتل نفـسا بغـيـر نفس أو فـسـاد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا" (المائدة ٣٢).

٥٠- (ص ٣٨) "ولا تقـتلوا أنفـسكم إن الله كـان بكم رحـيـمـا" (النساء ٢٩).

٥١- (ص ٣٨) "ثم أنتم هؤلاء تقـتلون أنفـسكم وتخـرجـون فـريقـا

منكم من ديارهم " (البقرة ٨٥).

٥٢- (ص ٣٨) "وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى" (النازعات ٤٠-٤١).

٥٣- (ص ٣٩) "وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء" (يوسف ٥٣).

٥٤- (ص ٣٩) "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها" (الشمس ٧-١٠).

٥٥- (ص ٣٩) "لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة" (القيامة ١-٢).

٥٦- (ص ٣٩) "بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره" (القيامة ١٤-١٥).

٥٧- (ص ٣٩) "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية" (الفجر ٢٧-٢٨).

٥٨- (ص ٤٠) "كل نفس بما كسبت رهينة" (المدثر ٣٨).

٥٩- (ص ٤٠) "ونضع الموازين بالقسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا" (الأنبياء ٤٧).

٦٠- (ص ٤٠) "يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا" (آل عمران ٣٠).

٦١- (ص ٤٠) "إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت ، يا أيها الإنسان ما غرك بربك

الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك" (الانفطار ١-٨).

٦٢- (ص ٤٠) "وإذا النفوس زوجت وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت ، وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت" (التكوير ٧-١٤).

٦٣- (ص ٤٠) "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله. " ، "فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه" (البقرة ٢٨٢-٢٨٣).

٦٤- (ص ٤٢) "ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله" (البقرة ٢٨٢).

٦٥- (ص ٤٤) "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" (النساء ٥٨).

٦٦- (ص ٤٤) "والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون" (المعارج ٣٢).

٦٧-(ص ٤٤) "إنا عرضنا الأمانة على السماوات الأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا " (الأحزاب ٧٢).

٦٨- (ص ٤٥) "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر

ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" (الإسراء ٧٠).

٦٩- (ص ٤٦) "إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين" (الحجر ٣١).

٧٠- (ص ٤٦) "ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني باسماء هؤلاء" (البقرة ٣١).

٧١- (ص ٤٩) "الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما ، ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير ، وكان الإنسان عجولا ، وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا" (الإسراء ٩-١٢).

٧٢- (ص ٥٠) "فيهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم" (البقرة ٢١٣).

٧٣- (ص ٥١) "قل أمر ربي بالقسط ، واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة" (الأعراف ٢٩-٣٠).

٧٤- (ص ٥١) "سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى" (الأعلى ١-٣)

٧٥- (ص ٥١) "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم" (إبراهيم ٤).

٧٦-(ص ٥١) "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل ما يشاء" (إبراهيم ٢٧).

٧٧- (ص ٥٩) "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير" (الحجرات ١٣).

٧٨- (ص ٦٠) " ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين " (الروم ٢٢).

٧٩- (ص ٦٠) " وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون" (يونس ١٩)

٨٠- (ص ٦٠) "كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين" (البقرة ٢١٣).

٨١- (ص ٦١) "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين" (هود ١١٨).

٨٢- (ص ٦١) "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فستبقوا الخيرات" (المائدة ٤٨).

٨٣- (ص ٦١) "إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم" (البقرة ١٦٣).

٨٤- (ص ٦١) "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا لا يشرك بعبادة ربه أحدا" (الكهف ١١٠).

٨٥- (ص ٦١) "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فعبدون" (الأنبياء ٩٢).

٨٦- (ص ٦١) "قل إنما يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون" (الأنبياء ١٠٨).

٨٧- (ص ٦٦) " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين" (المؤمنون ١٢).

٨٨- (ص ٦٦) "ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه" (السجدة ٦-٨).

٨٩- (ص ٦٧) "وإذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم اجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين" (الحجر ٢٨-٣١).

٩٠- (ص ٦٧) "وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك

الدمـاء ونحن نسـبح بحـمـدك ونقـدس لك قـال أني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قـال يا آدم أنبـئـهم باسمائهم ، فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم ، قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (البقرة ٣٠-٣٨).

٩١- (ص ٢١٤) "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" (البقرة ٢٥١).

٩٢- (ص ٢١٤) "فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" (الرعد ١٧).

٩٣- (ص ٢١٤) "وقد خلقكم أطوارا" (نوح ١٤).

٩٤- (ص ٢١٥) "ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين" (السجدة ٨).

٩٥- (ص ٢١٥) "من سلالة من طين" (المؤمنون ١٢).

٩٦- (ص ٢١٦) "ان الأرض يرثها عبادي الصالحون" (الأنبياء١٠٥)

٩٧- (ص ٢١٧) "تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون" (البقرة ١٤١).

ملحق (٢)

الهوامش والمراجع التي أشار إليها العقاد في دراسته

هذه المراجع ذكرت في متن كتاب العقاد الإنسان في القرآن .
وهي مرتبة وفق ما جاءت في الكتاب على النحو التالي:

١ - (ص ٤٢) - الزمخشري ، الكشاف. *
٢ - (ص ٤٣) - الجلالين ، تفسير الجلالين . *
٣ - (ص ٤٣) - محمد عبده ، تفسير المنار.*
٤ - (ص ٤٥) - الفخر الرازي. *
٥ - (ص ٤٧) - ابن كثير ، تفسير ابن كثير. *
٦ - (ص ٤٧) - مجاهد بن سعيد بن جبير. *
٧ - (ص ٤٧) - الحسن البصري . *
٨ - (ص ٤٧) - تفسير السيوطي . *
٩ - (ص ٤٧)- محمد جمال الدين القاسمي تفسير الجواهر*
١٠ - (ص ٤٨) - الفيروز ابادي ، تفسير الفيروز ابادي.*

---

* يلاحظ أن جميع المراجع التي أشار إليها العقاد هي تفاسير الأولين .

ملحق (٣)

الهوامش والمراجع التي أشارت إليها عائشة في دراستها

وهي مرتبة وفق ما جاءت بدراستها ، ولم تثبتها عائشة في نهاية كتاب (مقال في الإنسان؛ دراسة قرآنية).

١ - (ص ٢٥) - محمد حسين كامل ، قصة آدم.

٢ - (ص ٣٥) - الطبري ، تفسير الطبري .*

٣ - (ص ٣٧) - محمد عبده ، تفسير الذكر الحكيم ج١/٢٦٢ طبعة المنار.*

٤ - (ص ٤٠) - الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن.*

٥ - (ص ٥٤) - الزمخشري ، الكشاف للزمخشري. *

٦ - (ص ٨٥) - أمين الخولي ، صلة الإسلام بإصلاح المسيحية ، ١٩٣٥م.

٧ - (ص ٩٦) - ابن اسحاق ، السيرة لإبن اسحاق.

٨ - (ص ٩٦) - ابن سعيد ، الطبقات الكبرى.

٩ - (ص ٩٦) - الطبري ، تاريخ الطبري .

١٠- (ص ١٠١) - ابن رشد ، فصل المقال.

١١- (ص ١٠٢) - محمود شهابي ، مقال في الشيعة ، بيروت ١٩٦١م.

١٢- (ص ١٠٣) - عبد المحسن الحسيني ، الكشف في مناهج الأدلة في عقائد الملة.

١٣- (ص ١٠٣) - عبد المحسن الحسيني ، النزاع بين الفقهاء والمتصوفة .

١٤- (ص ١٠٤) - عادل زعيتر ، حضارة الغرب.

١٥- (ص ١٠٥) - ابو العلا عفيفي ، الإسلام الصراط المستقيم.

١٦- (ص ١١٢) - مصطفى الزرقا ، مجلة الوعي الإسلامي مارس ١٩٦٨.

١٧- (ص ١٤٣) - علي نصوح الطاهر ، أقوال الفلاسفة والقدامى والمتأخرين في النفس ، الأردن ، ١٩٦٠.

١٨- (ص ١٤٨) - ابن سينا ، عينية الشيخ الرئيس ابن سينا.

١٩- (ص ١٥٢) - الشريف المرتضى.

٢٠- (ص ١٦٦) - توفيق الطويل ، قصة الاضطهاد الديني.

---

* يلاحظ أن مراجع التفاسير قليلة ، وأكثر المراجع والبحوث هي مقالات ودراسات رجعت إليها عائشة في دراستها عن الإنسان.

وجدير بالذكر أنها لم تشر إلي دراسة العقاد التي سبقتها ، وهي في نفس الموضوع والمجال.